وصف الناقة بين (كعب بن زهير) و(الأخطل)
في لاميَّتيهما (بانت سعاد)
دراسة بلاغيَّة موازنة

د/ مريم عبد العظيم محمد السيد

مدرس البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات ببورسعيد – جامعة الأزهر

mryam elsaid113@azhar.edu.eg

عنوان البحث: **وصف الناقة بين (كعب بن زهير) و(الأخطل) في لاميّتيهما (بانت سعاد) دراسة بلاغيَّة موازنة**

اسم الباحث: **د/ مريم عبد العظيم محمد السيد**

الإيميل: mryam elsaid113@azhar.edu.eg

الكلمات المفتاحية: كعب، الأخطل، الناقة، ناقته، ناقة الشاعر، للدلالة على، المُهِمَّة المنوطة بها، والمعنى، ومعناها، الحمار الوحشي، شبه به ناقته

التوصيف الوظيفي: **مدرس البلاغة والنقد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد – جامعة الأزهر**

ملخَّص البحث

في هذا البحث تحليل وموازنة بين **(كعب بن زهير)** و**(الأخطل)** في غرض **(وصف الناقة)** في لاميَّتيهما **(بانت سعاد)** ، وقد حاولت فيه – قدر الإمكان – أن أكشف عما وراء الألفاظ من دلالات وإيحاءات عميقة تسهم في خدمة تجربة كل شاعر، وتُظهر مدى انفعاله وصدق إحساسه بها، وتعمل على إبراز مكامن ذاته الشاعرة، ثم سعيت إلى الموازنة بينهما من حيث الألفاظ فالجمل ثم الصور، وخلال ذلك أذكر ما اتفقا فيه وما اختلفا فيه من الألفاظ والمعاني، وسبب الاختلاف، وأجتهد في الحكم لأحدهما بالإجادة دون الآخر فيما اتفقا فيه من المعاني.

ومن ثمَّ وقع البحث في ثلاثة محاور أساسيّة هي:

المحور الأول: الوصف بالكلمة.

المحور الثاني: الوصف بالجملة.

المحور الثالث: الصورة الفنية.

وكانت أهم الكلمات الافتتاحية في هذا البحث هي:

(كعب، الأخطل، الناقة، ناقته، ناقة الشاعر، للدلالة على، المُهِمَّة المنوطة بها، والمعنى، ومعناها، الحمار الوحشي، شبه به ناقته)

والله الموفِّق.

Research Summary

Description of the camel between (Kaab bin Zuhair) and (Al-Akhtal) In their two nations (Pant Suad) A balanced rhetorical study

Dr. Maryam Abdel-Azim Mohamed El-Sayed
Teacher of rhetoric and criticism
College of Islamic and Arabic Studies
For girls in Port Said - Al-Azhar University
mryam elsaid113@azhar.edu.eg

In this research, an analysis and balance between (Ka'b bin Zuhair) and (Al-Akhtal) in the purpose of (describing the camel) in their two Lamas (Pant Suad), in which I tried - as far as possible - to reveal the deepest meanings and revelations that contribute to serving the experience of each poet And it shows the extent of his emotion and the sincerity of his sense of it, and works to highlight the places of the same poet, then I sought to balance between them in terms of words, sentences, then pictures, and during that I mention what they agreed on and what they differed in terms of meanings and meanings, and the reason for the difference, and I strive to judge one of them with proficiency without the other As they agreed on the meanings.

Then the research took place in three main axes:

The first axis: the description of the word.

The second axis: the description in bulk.

The third axis: the technical image.

The most important opening words in this research were:
Heels, the most faulty, the camel, its camel, the poet's camel, to denote the mission entrusted to it, meaning, meaning, zebra, likened to its camel

المقدّمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعـــــــد:

فقد كانت الإبل هي عماد حياة العرب الأوائل الذي فرضته عليهم طبيعة البيئة الصحراوية التي عاشوا فيها، حيث كانوا يأكلون لحومها، ويشربون ألبان إناثها، وينتفعون بجلودها وأوبارها، ويرتحلون على ظهورها إلى حيث شاءوا، وما ذاك إلا لأنها " حيوان عظيم الجسم، سريع الانقياد، ينهض بالحمل الثقيل، ويبرك به، وتأخذ زمامه فأرة فتذهب به إلى حيث شاءت، ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه، مع مأكوله ومشروبه وملبوسه وظروفه ووسائده، كأنه في بيته، ويتخذ للبيت سقف وهو يمشي بكل هذه........ وحيث أراد الله تعالى بها أن تكون سفائن البر، صبّرها على احتمال العطش، حتى إن ظمأها ليرتفع إلى العشر، وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز، مما يرعاه سائر البهائم" (١). ويكفي في الدلالة على عظيم خلقها، وبديع صنعها أن الله تعالى ذكّر بها أهل الكفر لما عجبوا مما سمعوا عن الجنة، واستبعدوا وكذبوا فقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢) " فَأَرَاهُمْ عَظِيمًا مِنْ خَلْقِهِ، مُسَخَّرًا لِصَغِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ، يَدُلُّهُمْ بِذَلِكَ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ"(٣) .

وذكر المفسرون السبب في اختصاصها بالذكر دون غيرها من الحيوانات، وهو " أن العرب لم يَرَوْا بهيمة قَطُّ أعظمَ منها، ولم يشاهدوا الفيل

---

(١) حياة الحيوان الكبرى لمحمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبي البقاء، كمال الدين الشافعي (ت ٨٠٨هـ). ط: دار الكتب العلمية، بيروت. الثانية ١٤٢٤هـ. ١/ ٢٧.

(٢) الغاشية: ١٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) . تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط: دار الكتب المصرية. القاهرة . الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م. ٢٠/ ٣٥ .

إلا الشاذ منهم، ولأنها كانت أَنْفَسَ أموالهم وأكثرها، لا تفارقهم ولا يفارقونها، فيلاحظون فيها العِبَر الدَّالةَ على قدرة الخالق، من إخراج لبنها من بين فرث ودم وعجيب خَلْقِها، وهي على عِظَمها مُذلَّلة للحمل الثقيل، وتنقاد للصبي الصغير، وليس

في ذوات الأربع ما يحمل عليه وقره وهو بارك فيطيق النهوض به سواها" (١) .

وحيث بلغت الإبل هذه المكانة في نفوس العرب، وجدنا علماءهم الأوائل يخصونها بمؤلفات يعالجون فيها أمورًا تتصل بها، أو يفردون بابًا في مؤلفاتهم للحديث عنها، وحيث كان الشعر العربي مرآة لحياة العرب، وجدنا شعراءهم قديمًا يعنون عناية فائقة بوصف أنثى الإبل (الناقة) في أشعارهم، بل ويجعلونه ركنًا من أركان بناء القصيدة، يتبارون في حلبته، ويتنافسون في تجويده، قال ابن رشيق: "وأما نعات الإبل فطَرَفَةُ في معلَّقته من أفضلهم، وأوس بن حجر، وكعب بن زهير، والشماخ، وأكثر القدماء يجيد وصفها؛ لأنها مراكبهم" (٢) .

ومن ثَمَّ وقع الاختيار على هذا الغرض (وصف الناقة) الذي زخرت به أشعارهم ليكون عماد هذه الدراسة، ثم وقع الاختيار على شعر كعب بن

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط: دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ. ٤/ ٤٣٦، ويُنظر أيضًا: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ). ط: دار الكتاب العربي. بيروت. الثالثة ١٤٠٧هـ . ٤/ ٧٤٤، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف ابن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل. ط: دار الفكر. بيروت. ١٤٢٠هـ. ١٠ / ٤٦٣ .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: دار الجيل. الخامسة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م. ٢/ ٢٩٦.

زهير؛ لأفضليته في هذا المقام – كما ذكر ابن رشيق – ولعلو شأن قصيدته (بانت سعاد) التي ضمّنها وصف الناقة، وشيوع ذكرها في الآفاق على مرّ العصور وتعاقب الأزمان لعظيم ما سيقت لأجله، وهو الاعتذار للنبي – صلى الله عليه وسلم – ومدحه. وعلى إثر ذلك جاء اختيار قصيدة الأخطل التي عارض فيها كعبًا؛ لتكون الدراسة موازنة، وإنما أوثرت معارضة الأخطل؛ لفضله في الشعر، ولقُربها في زمان إنشائها من قصيدة كعب بن زهير.

ومن هنا جاء عنوان البحث: **وصف الناقة بين كعب بن زهير والأخطل في لامِّيتيهما (بانت سعاد) . دراسة بلاغيَّة موازنة**، حاولت فيها – قدر الإمكان – أن أكشف عما وراء الألفاظ من دلالات وإيحاءات عميقة تسهم في خدمة تجربة كل شاعر، وتُظهر مدى انفعاله وصدق إحساسه بها، وتعمل على إبراز مكامن ذاته الشاعرة، ثم سعيت إلى الموازنة بينهما من حيث الألفاظ فالجمل ثم الصور، وخلال ذلك أذكر ما اتفقا فيه وما اختلفا فيه من الألفاظ والمعاني، وسبب الاختلاف، وأجتهد في الحكم لأحدهما بالإجادة دون الآخر فيما اتفقا فيه من المعاني.

وقد انتظمت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة محاور، تتبعها خاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات:

١- **المقدمة:** تحدّثت فيها عن أهمية الدراسة، وما دفعني إليها، وضمّنتها خطة الدراسة ومنهجها.

٢- **التمهيد:** تناولت فيه ترجمة كل شاعر، مُتبعة ذلك بإيراد أبياته محِلِّ الدراسة.

٣- **المحور الأول:** الوصف بالكلمة، ويشتمل على:

أولًا: الدلالة المعجمية.

ثانيًا: دلالة الوزن الصرفي.

ثالثًا: دلالة النعت.

٤- **المحور الثاني:** الوصف بالجملة، ويشتمل على:

أولًا: الجملة المؤَسِّسَة.

ثانيًا: الجملة المقيِّدة.

٥ - **المحور الثالث:** الصورة الفنية ويشتمل على:

أولًا: التشبيه.

ثانيًا: الاستعارة.

ثالثًا: الكناية.

٦ - **الخاتمة:** وقد جمعت فيها أهم ما توصّلت إليه الدراسة من نتائج.

٧- **ثبت المصادر والمراجع.**

٨- **فهرس الموضوعات.**

هـــــذا، وقد اعتمدت المنهج التكاملي في التحليل والموازنة للوصول إلى غاية البحث وأهدافه، والله أسأل أن أكون قد وُفّقت في تناول هذا الموضوع على الوجه الذي ينبغي له، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د/ مريم عبد العظيم محمد السيد
مدرس البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد – جامعة الأزهر

التمهيد

بين يدي الدراسة

يجدر بالبحث قبل البدء فيما سيق لأجله أن يتعرض – ولو بشيء من الإيجاز – لترجمة الشاعرين، و إبراز بعض جوانب حياتهما التي كان لها أثر كبير في بناء أساليبهما، وتشكيل صورهما، كذلك فإن إيراد الأبيات التي دارت عليها الدراسة مشفوعة بتفسير مفرداتها أمر مهم قبل الشروع في دراستها دراسة بلاغيّة موازنة.

ومن ثمّ كان هذا التمهيد مفتاحًا لتلك الدراسة، وسوف ينقسم الحديث فيه قسمين:

الأول: كعب بن زهير: ترجمته، وأبياته في وصف الناقة.

الثاني: الأخطل: ترجمته، وأبياته في وصف الناقة. وهذا تفصيل القول في كلٍّ منهما:

أولًا: كعب بن زهير: ترجمته، وأبياته في وصف الناقة.

هو كَعْبُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى الشَّاعِرُ وَاسْمُ أَبِي سُلْمَى: رَبِيعَةُ بْنُ رَبَاحِ بْنِ قُرْطِ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ مَازِنِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ هَذْمَةَ بْنِ لَاطِمِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ مُزَيْنَةَ [1].

---

(١) يُنظر: معجم الصحابة لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (ت ٣٥١هـ) تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي. ط: مكتبة الغرباء الأثرية. المدينة المنورة. الأولى١٤١٨هـ ٢/ ٣٨٠ ، معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) . تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط: دار الوطن للنشر. الرياض. الأولى ١٤١٩هـ /١٩٩٨م ٥/ ٢٣٧٧ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود. ط: دار الكتب العلمية. الأولى ١٤١٥هـ /١٩٩٤م. ٤ / ٤٤٩.

أمه: " امرأة من بني عبد الله بن غطفان، يقال لها كبشة بنت عمار بن عدي بن سحيم، وهي أم سائر أولاد زهير " (١) ، وكان زهير قد تزوجها فوق امرأته الأولى أم أوفى التي ذكرها في معلّقته، وكانت قد ولدت منه أولادًا ماتوا، فتزوج بعدها أم كعب، فغارت من ذلك وآذته فطلقها ثم ندم فقال فيها (من الوافر) :

لعمـــــرك والخطوب مغيرات ... وفي طول المعاشرة التقالي
لقد باليت مظعـــن أم أوفى ... ولكـــن أم أوفى لا تبالي (٢)

حياته:

لم تذكر مصادر التاريخ والسير شيئًا عن مولده وحياته، غير بعض إشارات تفيد أنه كان يحالفه اقتار وسوء حال(٣)، وقد بدا ذلك واضحًا في كثير من أشعاره التي أخذ فيها يشكو الدهر، ويتبرّم من حاله السيئة (٤) .

وقد اتفقت كتب التراجم والطبقات على كل ذكر قصة إسلامه عندما أهدر النبي – ﷺ – دمه لهجائه أصحابه فجاءه معتذرًا مادحًا في قصيدته التي

---

(١) الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) . تحقيق: سمير جابر. ط: دار الفكر. بيروت. الثانية. ١٧/ ٨٧.

(٢) يُنظر: شعراء النصرانية. جمعه ووقف على طبعة وتصحيحه: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت ١٣٤٦هـ) . الناشر: مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين. بيروت ١٨٩٠ م . ٤/ ١٦٠.

(٣) الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) . ط: دار الحديـــث. القـــاهرة ١٤٢٣هـ. ١/ ١٥٣.

(٤) تراجع أبياته : ص ٧٧ (لو كنت أعجب من شيء) ، ص ٨٦ (لعمرك لولا رحمة الله) من ديوانه. ديوان كعب بن زهير. صنعة الإمام أبي سعيد السُّكّري. شرح ودراسة: د/ فريد قميحة. ط: دار الشواف للطباعة والنشر. الرياض، دار المطبوعات الحديثة. جدة. الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

أخذنا منها الأبيات محل الدراسة، وسيأتي تفصيلها عند إيراد الأبيات.

مكانته الشعرية:

هو من الشعراء المُخضرمين، عاش في الجاهلية، وأدرك الإسلام، وكانت له صُحبة، ويبدو أن شاعرية كعب قد ظهرت في وقت مبكر، ولا غرو في ذلك، فهو ينتمي إلى بيتٍ من بيوتات الشعر التي تألّقت في الجاهلية، وخلّفت لنا العديد من الشعراء المشهورين، ويتفق الرواة بشكلٍ تام على أن الشعر لم يتصل في ولدٍ أحد من فحول الجاهلية اتصاله في زهير وولده(١).

جاء في الحيوان عن ابن الأعرابي: "كان لزهير – يعني: في الشعر – ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعرًا، وخاله شاعرًا، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة"(٢)، ومما يدل – أيضًا – على علو قدم بيت زهير في الشعر ورسوخهم فيه ما روي أن الحُطيئة – وَكَانَ راوية لزهير وَآل زُهَيْر – قَالَ لكعب بن زُهَيْر: قد علمت روايتي شعر أهل الْبَيْت وانقطاعي، وَقد ذهب الفحول غيرى وَغَيْرك، فَلَو قلت شعرًا تذكر فِيهِ نَفسك وتضعني موضعا فَإِن النَّاس لأشعاركم أروى وإليها أسْرع، فَقَالَ كَعْب:

فَمن للقوافى شأنها من يحوكها ... إِذا مَا ثوى كَعْب وَفَوْز جَرْوَل
يَقُول فَلَا يعيي بِشَيْء يَقُوله ... وَمن قَائِلهَا من يسيء وَيعْمل
كفيتك لَا تلقى من النَّاس وَاحِدًا ... تنخّل مِنْهَا مثل مَا يتنخّل
يثقفها حَتَّى تلين متونها ... فيقصر عَنْهَا كل مَا يتَمَثَّل(٣)

---

(١) يُنظر: مقدمة ديوان كعب بن زهير ص ١٠.

(٢) الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) . ط: الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت. الثانية ١٤٢٤هـ. ٤٥٧/٧.

(٣) يراجع: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبي عبد الله (ت ٢٣٢هـ). تحقق: محمود محمد شاكر. ط: دار المدني – جدة. ١/ ١٠٤ وما بعدها.

ويبدو من روايات أهل الأخبار أن زهيرًا قد تكفّل ابنه ورعاه، فنمّى موهبته بالرواية، والاستماع والنظم، بل وبتعليمه مبادئ القراءة والكتابة؛ حتى يوفر له كل ما هو ضروريٌّ لنظم الشعر وإتقانه، وإحكام ضبطه ومراجعته(١) .

إسلامه:

"أَسْلَمَ بَعْدَ الْفَتْحِ بَعْدَ مُنْصَرَفِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنَ الطَّائِفِ" (٢) ، ولم ينقل عنه في إسلامه سوى قصيدة (بانت سعاد) التي اعتذر فيها للنبي – ﷺ – وبعض مقطوعات يسيرة حواها ديوانه، لا تتفق قلتها مع عمره المديد الذي تذكر الروايات أنه امتد ليشهد خلافة معاوية بن أبي سفيان، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنه تفرّغ لدينه وآثر قراءة القرآن الذي بهر الناس ببلاغته، وملك عليهم ألبابهم (٣).

أبياته في وصف الناقة:

تأتي هذه الأبيات ضمن قصيدة طويلة – بلغت تسعًا وخمسين بيتًا – نظمها كعب في الاعتذار إلى النبي – ﷺ – واستعطافه، وذلك أن كعبًا لما بلغه إسلام أخيه بجير قَالَ [البحر الطويل]:

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيْب غَيْرِكَ دَلَّكَا
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تَلْفَ أُمًّا وَلَا أَبًا عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخًا لَكَا
سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُورُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

فلما بلغت أبياته هذه رسول الله – ﷺ – غضب, وأهدر دمه، فكتب بذلك بجير إلى أخيه، ويقول له: النجاء, وما أراك تنفلت، ثم كتب إليه أن رسول الله – ﷺ – لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله إلا قبل منه، وأسقط ما كان قبل ذلك، فإذا أتاك كتابي هذا فأسلم وأقبل، فأسلم كعب،

---

(١) يُنظر: مقدمة ديوان كعب بن زهير ص ١٥.
(٢) معرفة الصحابة ٥ / ٢٣٧٧ .
(٣) يُنظر: مقدمة ديوان كعب بن زهير ص ٢٣ وما بعدها.

وقدم على رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مسلما، ودخل عَلَيْهِ مسجده، وأنشده هذه القصيدة [من البسيط]، ومطلعها :

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ عِنْدَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

وفيها:

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي ... وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

فَعفا عنه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكساه بردة له, ظلت في ولده إلى أن شتراها معاوية منهم بمال , فكانت تلبسها الخلفاء في الأعياد [1].

وقد احتلت هذه القصيدة مكانة كبيرة في الشعر العربي، حتى غدت نهجًا سلكه الشعراء، وطريقًا اقتفوا آثاره في مدح النبي – ﷺ– وتفننوا فيه، فقد انبرى شعراء العرب في عصوره المختلفة إلى معارضتها حينًا، وتشطيرها وتخميسها أحيانًا، وانصبّت عليها جهود الدارسين بالشرح والبحث والتحليل والموازنة، وارتبط ذكر كعب بن زهير بذكرها، وكأنه لم ينظم إلا إياها.

وقد بدأها كعب بالغزل على عادة الشعراء الجاهليين، وسواء أكانت (سعاد) – التي تغزّل فيها – هي محبوبته أو زوجته أو شخصية خيالية اجتلبها ليلفت الأذهان إلى قصيدته كعادة شعراء عصره، فإن غزله فيها لم يكن فاحشًا ولا متبذلًا، وإنما راعى كعب في نظمه مقام النبوة الذي سيُنشَد بحضرتها، وأحسن التخلُّص منه إلى وصف الناقة – الذي هو محِلّ هذه الدراسة – إذ ذكر أن محبوبته هجرته إلى أرض بعيدة، لن يستطيع أن يبلغها إلا على متن ناقةٍ ذكر أوصافها في هذه في إحدى وعشرين بيتًا من أبيات قصيدته، وهذه الأبيات هي قوله:

---

(١) يُنظر: معجم الصحابة ٢/ ٣٨٠ وما بعدها ، معرفة الصحابة ٥/ ٢٣٧٧ وما بعدها، أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ / ٤٤٩ وما بعدها.

أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لَا يُبَلِّغُهَا ...إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ(١)
وَلَنْ يُبَلِّغَهَــا إِلَّا عُذَافِرَةٌ ... فِيْهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ(٢)
مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ...عُرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُـولُ(٣)
تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرِدٍ لَـهَقٍ ... إِذَا تَوَقَّـدَتْ الْحِـزَّانُ وَالْمِيـلُ(٤)
ضَخْمٌ مُقَلَّدُهَا فَعْـمٌ مُقَيَّدُهَا ... فِي خَلْقِهَـا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ(٥)
غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلْكُـومٌ مُذَكَّرَةٌ ... فِي دَفِّهَـا سَعَةٌ قُدَّامُهَـا مِيـلُ(٦)

---

(١) العتاق: جمع عتيق، والعَتيقُ: الْكَرِيمُ الرَّائِعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ والخيارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، النجيبات: جمع نجيبة، والنَّجيبُ مِنَ الإِبل: القويُّ مِنْهَا، الْخَفِيفُ السَّرِيعُ، المراسيل: جمع مرسال، وهي النَّاقَةُ السَّهْلَةُ السَّرِيعَةُ السَّيْرِ. ينظر: لسان العرب مواد (عتق، نجب، رسل).

(٢) العُذافِرةُ: النَّاقَةُ العظيمة الصُّلْبة القوية الأَمِينةُ الوَثِيقة الظَّهِيرةُ وَهِيَ الأَمُون، والأين: الإعياء والتعب، والإرقال: الإسراع ، وَهُوَ – أيضًا– ضَرْبٌ مِنَ العَدْو فَوْقَ الخَبَب، والتَبْغِيل: تَفْعِيل مِنَ البَغْل كأَنه شَّبَهَ سَيْرَهَا بِسَيْرِ الْبَغْلِ لشدَّته، والتَّبْغيل مِنْ مَشْي الإبلِ: مَشْيٌ فِيهِ سَعَة، وَقِيلَ: هُوَ مَشْيٌ فِيهِ اخْتِلَافٌ وَاخْتِلَاطٌ بَيْنَ الهَمْلَجَة والعَنَق. ينظر: اللسان مواد (عذفر، رقل، بغل).، تاج العروس (أين).

(٣) نضاخة : النَّضْخ: شِدَّةُ فَوْرِ الْمَاءِ فِي جَيَشانه وَانْفِجَارِهِ مِنْ يَنْبوعه، والمراد هنا: شدة رشح ذفريها بالعرق. الذفرى: الْعَظْمُ الشَّاخِصُ خَلْفَ الأُذن. عرضتها: همتها. يُنظر: اللسان مادتا (نضخ، ذفر)، تاج العروس (عرض).

(٤) المفرد: ثور الوحش. اللهق: الأبيض. الحزان: جمع الحَزِيز، وهو: مَا غَلُظَ وصَلُبَ من جَلَدِ الأَرْض مَعَ إشرافٍ قليلٍ. الميل: المَيْلاءُ من الرَمْلِ: العُقدةُ الضخمةُ. يُنظر: اللسان مادتا (فرد، لهق، حزز)، الصحاح (ميل).

(٥) مقلّدها: موضع القلادة منها، وهو العنق.الفَعْمُ والأَفْعَم: الممْتلئ، وَقِيلَ: الْفَائِضُ امْتِلَاءً، ومقيّدها: موضع القيد منها. بنات الفحل: الإبل. .ينظر: اللسان – فعم، المخصص – باب البنات.

(٦) غلباء: غليظة الرقبة. وَجْناءُ: غَلِيظَةُ لَحْمِ الوَجْنةِ صُلْبة شَدِيدَةٌ، مُشْتَقَّةٌ مِنَ الوَجِين الَّتِي هِيَ الأَرض الصُّلْبَةُ أَو الْحِجَارَةُ. علكوم : شديدة صلبة أو عظيمة ضخمة. مذكّرة: تشبه الذكران في غلظ الخلقة. دفّها: الدف: الجنب ينظر: اللسان (غلب، وجن، دفف) ويُنظر مادة (علكم) في كلٍّ من: العين، وتهذيب اللغة، الصحاح، اللسان.

وَجِلْدُهَا مِنْ أُطُومٍ مَا يُؤَيِّسُـــهُ ... طِلْحٌ بِضَاحِيَـــةِ الْمَتْنَيْنِ مَهْـــزُولُ[١]

حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ ... وَعَمُّهَـــا خَالُـــهَا قَـــوْدَاءُ شِمْلِيلُ[٢]

يَمْشِي الْقُـــرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُه ... مِنْهَا لَبَـــانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيـــلُ[٣]

عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ ... مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُـــولُ[٤]

---

(١) أطوم: الأَطُومُ: السُّلَحْفاةُ البحريّة، وقيل سمكة عظيمة يُجعَلُ من جلدها النعال، وقيل: الزرافة. ما يؤيسه: التأييس: التأثيرُ فِي الشَّيْء. طلح من أسماء القُرادُ، وهو: دُوَيبَّةٌ تَعَضُّ الإبل.. وضاحِيَةُ كلِّ شيءٍ: ناحيتُه البارزَة. المتنان: المتن: الظهر، ومَتْنا الظَهْرِ: مُكْتَنَفا الصُلْبِ عن يمينٍ وشمالٍ من عصب ولحم. ينظر: اللسان (أطم، طلح، قرد، ضحى، متن) ويُنظر تهذيب اللغة، والقاموس المحيط (أيس) ، الصحاح (متن).

(٢) الحَرْفُ مِنَ الإبل: النَّجِيبة الماضِيةُ الَّتِي أَنْضَتها الأَسفار، شُبِّهَتْ بِحَرْفِ السَّيْفِ فِي مَضَائِهَا وَنَجَائِهَا ودِقَّتها، وَقِيلَ: هِيَ الضّامِرةُ الصُّلْبَةُ، شُبِّهَتْ بِحَرْفِ الْجَبَلِ فِي شِدَّتها وصَلابتها. مهجَّنة: الهِجانُ مِنَ الإبل: البيضاءُ الخالصةُ اللونِ والعِتْقِ، وقيل: هِيَ المَمْنوعةُ مِن فحولِ الناسِ إلاَّ مِنْ فُحولِ بِلادِها لعِتْقِها وكَرَمِها. قوداء: طويلة العنق. شمليل: خفيفة سريعة. يُنظر: اللسان (حرف، هجن، شملل) تاج العروس– هجن، مقاييس اللغة– قود.

(٣) القراد: الدويبة المذكورة قبل في قوله: "طلح" ، لبان: اللَّبَانُ: الصَّدْرُ، وَقِيلَ: وسَطُه، وَقِيلَ: مَا بَيْنَ الثَّدْيَينِ، وَيَكُونُ للإنسان وَغَيْرِهِ، وَقِيلَ: اللَّبانُ الصَّدْرُ مِنْ ذِي الْحَافِرِ خاصَّةً. أقراب جمع قرب وهو الخاصرة. زهاليل: جمع زهلول، وهو: الأملس . يُنظر: اللسان (لبن، قرب، زهل)

(٤) العَيْرانة مِنَ الإبل: النَّاجِيَةُ فِي نَشَاطٍ مِنْ ذَلِكَ، والعَيْر: الحِمار، وَجمعه أعيار. وناقة عَيْرانة: مشبَّهة بالعَيْر الوحشيّ فِي صلابته. النحض: اللحم. عن عُرُض: قال ابن هشام في السيرة ٢/ ٢٠٧: "وعَن: بِمَعْنى من. وعُرُض (بِضَمَّتَيْنِ أَو بِضَم أَو فَسُكُون): جَانب، وَالْمرَاد هُنَا الْعُمُوم. يُرِيد أَنَّهَا رميت بِاللَّحْمِ من كل جَانب من جوانبها". الزَّوْرُ: الصَّدْرُ، وَقِيلَ: وَسَطُ الصَّدْرِ، وَقِيلَ: أَعلى الصَّدْرِ، وَقِيلَ: مُلْتَقَى أَطراف عِظَامِ الصَّدْرِ حَيْثُ اجْتَمَعَتْ. الفَتَلُ، بالتحريك: تباعد ما بين المرفقين عن جنبي البعير. يُنظر: لسان العرب. المواد (عير، نحض، زور) ، جمهرة اللغة – عير، والصحاح – فتل.

كَأَنَّمَا فـاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا ... مِنْ خَطْمِهَا وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيـلُ(١)
تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ .... فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوَّنْهُ الْأَحَالِيـلُ(٢)
قَنْوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِـيرِ بِهَا ....عِتْقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيـلُ(٣)
تَهوِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لَاهيـةٌ .... ذَوَابِلٍ وَقْعُهُـــنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيـلُ(٤)
سُمْرِ الْعُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الْحَصَى زِيَمًا ... لَمْ يَقِهِـنَّ رُءُوسَ الْأُكْـمِ تَنْعِيلُ(٥)
يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَـخِدًا ... كَأَنَّ ضَاحِيَـهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُـولُ(٦)

---

(١) الخَطْمُ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ: مُقَدَّمُ أَنفها وَفَمِهَا، اللِّحْيَانِ: حَائِطَا الْفَمِ، وَهُمَا الْعَظْمَانِ اللَّذَانِ فِيهِمَا الأَسنان مِنْ دَاخِلِ الْفَمِ (الفكّان) . البِرْطِيل: حَجَر أَو حَدِيد طَوِيلٌ صُلْب خِلْقة لَيْسَ مِمَّا يُطَوِّله الناسُ وَلَا يُحَدِّدونه تُنْقَرُ بِهِ الرَّحى وَقَدْ يُشَبَّهُ بِهِ خَطْم النَّجيبة. يُنظر: لسان العرب. المواد (خطم، لحي، برطل).

(٢) العَسِيبُ: جَرِيدَةٌ مِنَ النَّخْلِ مُسْتَقِيمَةٌ، دَقِيقَةٌ يُكْشَطُ خُوصُها. الغارِزُ: الضَّرْعُ قَدْ غَرَزَ وقَلَّ لَبَنُهُ. تخوّنه: التَخَوُّنُ: التنقص. الأحاليل: جمع الإحليل، وهو: مخرج اللَّبن مِنَ الضَّرْع. يُنظر: لسان العرب. المواد (عسب، غرز، خون، حلل) .

(٣) القَنا فِي الأَنف: طُولُهُ ودِقَّة أَرْنبته مَعَ حدَب فِي وَسَطِه. الحُرَّتانِ: الأُذُنانِ. يُنظر: اللسان (قنو، حرر).

(٤) تهوي: تسْقط مِن فَوْق إِلَى أَسْفَل. اليسرات: قوائم الناقة، وقيل القوائم الخفاف. التحليل: مأخوذ من تحلّة القسم، قال صَاحب الْعين: "حَلَّلْت الْيَمين تَحليلًا وتَحِلَّةً وتَحِلاًّ شَاذ وضربته ضربا تَحليلاً: أَي شبه التّعزير مُشْتَقّ من تَحْلِيل الْيَمين، ثمَّ أجري فِي سَائِر الْكَلَام، حَتَّى قيل فِي وصف الإِبل إِذا بَركت، وَأنْشد: نَجائبٌ وَقْعُهُنَّ الأَرْض تَحليلُ أَي هَيّن"، وقال الجوهري: "وقولهم: ما فعلتُه إلاَّ تَحِلّةَ القَسَمِ، أي لم أفعَلْ إلا بقَدْرِ ما حَلَّلْتُ به يميني ولم أبالغ.... ثم قيل لكلِّ شيء لم يبالغ فيه تحليل". يُنظر: اللسان– يسر، مقاييس اللغة– هوي، الصحاح – يسر، حلل، العين–حلل

(٥) العجايات: جمع العُجايةَ، وهي: عصَبٌ مركّبٌ فيه فُصوص من عظام كأمثال فُصوص الخاتم عند رُسْغ الدّابّة. الزِّيَمُ: الْمُتَفَرِّقُ. يُنظر: العين– عجج ، اللسان– زيم.

(٦) الحِرباء: دُوَيْبَّةٌ تسْتَقْبِلُ الشمسَ برأْسها وَتكُونُ مَعَهَا كَيْفَ دَارَتْ، يُقَالُ: إِنَّهُ إِنَّمَا يتفْعَلُ ذَلِكَ لِيَقِيَ جَسَدَها برأْسِها؛ وتتلَوَّنُ أَلواناً بِحَرّ الشَّمْسِ، مصطخدًا: الصَّيْخَدُ: شِدَّةُ الْحَرّ، وقيل: عَيْنُ الشَّمْسِ. وَاصْطَخَدَ الْحِرْبَاءُ: تَصَلَّى بِحَرِ الشَّمْسِ. مملول: اسم مفعول من=

وَقَالَ لِلْقَوْمِ حاديهم وَقد جعـلت ... وُرْقُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا قِيلُوا(١)
كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَـــا إذا عَرِقَتْ ... وَقَـدْ تَلَفَّعَ بِالْقُـورِ الْعَسَاقِيلُ(٢)
أَوبُ يَدَيْ فاقدٍ شمطاءَ مِعْـوَلَةٍ... قَامَـتُ فَجَاوَبَهَـــا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ(٣)
نَوَّاحَةٍ رِخْوَةِ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَـا ... لَمَّا نَعَـى بِكْرَهَا النَّـاعُونَ مَعْقُولُ(٤)
تَفْرِى اللَّبَـــانَ بِكَفَّيْهَا وَمِدْرَعُهَا ... مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَـــا رَعَابِيلُ(٥)

=المَلَّةُ: الرَّماد والجَمْر: يُقال: مَلَلْتُ الخَبْزةَ أَمُلُّها في المَلَّة مَلاًّ فهي مملولة، وكلّ شيءٍ تَمُلُّهُ في الجمر فهو مملول. اللسان- حرب، مقاييس اللغة- صخد، العين- ملل

(١) وُرق: جمع ورقاء من الوُرقة، وهي: سَوَادٌ فِي غُبْرة، وَقِيلَ: سَوَادٌ وَبَيَاضٌ. الجنادب: جمع جندب، وهو ضرب من الجراد، قيل: هو الذكر منها، وقيل: هو الصغير منها. يركضن الحصى: قال ابن هشام في السيرة ٢/ ٥٠٩: "يحركنه بأرجلهن لقصد النزول بسبب الإعياء عن الطيران من شدة الحرّ" . قيلوا: فعل أمر من القيلولة، وهي النوم في الظهيرة. يُنظر: اللسان (ورق، جدب، قيل).

(٢) الأَوْبُ: تَرْجِيعُ الأَيْدِي والقَوائِم. تلفّع: التلفُّع: أَن يشتمِل الْإِنْسَان بِالثَّوْبِ حَتَّى يجلّل جسده. القُورُ جَمْعُ الْقَارَةِ ، وَهِيَ الأَصاغر مِنَ الْجِبَالِ والأَعاظم مِنَ الْآكَامِ، وَهِيَ مُتَفَرِّقَةٌ خَشِنَةٌ كَثِيرَةُ الْحِجَارَةِ. الْعَسَاقِيلُ: السَّرابُ. يُنظر: اللسان (أوب، قور، عسقل)، تهذيب اللغة – لفع.

(٣) الشمطاء من الشمط، وهو: بياضُ شَعَر الرأسِ يخالط سوادَه. معولة: صيغة مبالغة من العويل، وهو: البكاء. نُكْدٌ: أي نساء متصفات بالنكد، وهو: اللؤم والشؤم، وكل شيء جر على صاحبه شراً فهو نَكَدٌ. يُنظر: اللسان – عول، الصحاح – شمط. العين – نكد.

(٤) الضبعان: مثنى الضَّبْعُ، بِسُكُونِ الْبَاءِ: وسَطُ العَضُدِ بِلَحْمِهِ يَكُونُ للإِنسان وَغَيْرِهِ، وَقِيلَ: العَضُدُ كلُّها، وَقِيلَ: الإِبْطُ، وَقِيلَ: مَا بَيْنَ الإِبط إِلى نِصْفِ الْعَضُدِ مِنْ أَعلاه، تَقُولُ: أَخَذ بضَبْعَيْه أَي بعَضُدَيْه. ومعنى رخوة الضبعين: مسترخية العضدين أي أن عضديها غير مقيدين ولا مكبّلين، وهذا أبعث لها على اللطم. معقول: اسم مفعول بمعنى المصدر، أي: لم يكن لها عقل لما جاءها نعي ولدها . يُنظر: اللسان – ضبع.

(٥) المِدْرعُ: ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ الَّتِي تُلْبَس، وَقِيلَ: جُبَّة مَشْقُوقَةٌ المُقَدَّم. التراقي: جمع التَّرْقُوَةُ، وَهِيَ: الْعَظْمُ الَّذِي بَيْنَ ثُغْرَةِ النَّحْرِ وَالْعَاتِقِ مِنْ الْجَانِبَيْنِ. الرَّعَابِيل: الثِّيَابُ=

ثانيًا: الأخطل: ترجمته، وأبياته في وصف الناقة

هو أبو مالك التغلبي النصراني غياث بن غوث، ويقال: ابن غويث بن الصلت بن طارقة بن سيحان، المعروف بالأخطل(١).

سمي بالأخطل لخطل لسانه، أي سلاطته وقُبحه، وقيل: لطول أذنيه، وقيل: سمي الأخطل ببيتٍ قاله، وقيل: إن الأخطل لما تعرض لكعب بن جعيل الشاعر أقبل إليه فقال أبو الأخطل لكعب: إنه غلامٌ خطل. فسمى لذلك الأخطل(٢).

حياته:

كان مولده في أواسط القرن السابع للميلاد نحو السنة ٦٤٠ م. ولد في الجزيرة أي ما بين النهرين حيث كانت منازل تغلب في جهات الرقة والرصافة. وكان أبوه غوث من وجوه قومه وأمه ليلى تعرف بأم كعب وكانت تحبه وتعنى بأمره. ولد الأخطل نصرانياً وتلقن مبادئ دينه في حداثته وثبت عليه في مدى حياته، علقت أمه على صدره صليباً لم ينزعه عن صدره حتى في أيام كهولته وعند دخوله على الخلفاء فعرف لذلك بذي الصليب. عرض عليه الخليفة عبد الملك أن يدين بالإسلام فأبى ونجا منه بأبيات هزلية(٣) .

تنقل الأخطل في البلاد مع قبيلته تغلب فسكن البادية المجاورة للفرات عند قومه بني مالك وعاش مدة في الحيرة، ثم نمى خبره إلى خلفاء بني أمية فرحل إليهم إلى دمشق فما لبث أن حظي عندهم بحظٍّ وافر لما سمعوا إنشاده

=الْمُتَمَزِّقَةُ . يُنظر: اللسان (درع، رعبل) ، المصباح المنير –ترق

(١) يُنظر: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ) . تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع. ط: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر. دمشق. سوريا. الأولى١٤٠٢هـ/ ١٩٨٤م. ٢٠/ ٢١٢.

(٢) السابق نفسه

(٣) يُنظر: شعراء النصرانية ٨ / ١٧١ وما بعدها.

واختبروا جودة قريحته وغزارة ديباجة لفظه فكان مقدمًا عندهم؛ لمدحه إياهم ولانقطاعه لهم، ومدح يزيد بن معاوية في أيام أبيه، وهجا الأنصار بسببه، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ مَرْوَانَ يُجْزِلُ عَطَاءَ الأَخْطَلِ وَيُفَضِّلُهُ فِي الشِّعْرِ على غيره، فحَصَّلَ بذلك أَمْوَالاً جَزِيْلَةً مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ[١]. وكما تفرد الأخطل بمديح بني أمية قد برز أيضاً في مديح كبار دولتهم وأعيان زمانه كبشر بن مروان والحجاج بن يوسف وعكرمة الفياض ومصقلة بن هبيرة وهمام بن مطرف ويزيد بن المهلب وكثيرين غيرهم. وكانوا كلهم يفضلون مديحه على كل نفيس ثمين[٢].

مكانته الشعرية:

كان أبو عمرو بن العلاء ويونس النحوي يقدمانه على جرير والفرزدق في الشعر؛ واحتج له يونس في ذلك بجماعةٍ من علماء أهل البصرة؛ وكان حماد الراوية يقدمه أيضاً عليهما [٣]. وَقَدْ قِيلَ لِلْفَرَزْدَقِ: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ قَالَ: كَفَاكَ بِي إِذَا افْتَخَرْتُ، وَبِجَرِيرٍ إِذَا هَجَا، وَبِابْنِ النَّصْرَانِيَّةِ إِذَا امْتَدَحَ [٤]. ونقل ابن قتيبة في الشعر والشعراء قول مسلمة بن عبد الملك: " ثلاثة لا أسأل عنهم، أنا أعلم العرب بهم: الأخطل والفرزدق وجرير، فأمّا الأخطل فيجيء سابقا أبدا، وأمّا الفرزدق فيجيء مرّة سابقا ومرّة ثانيا، وأمّا جرير فيجيء سابقا مرّة

---

(١) يُنظر: مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٢١٢ ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: عمر عبد السلام التدمري. ط: دار الكتاب العربي. بيروت. الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م . ٢/ ١٠٥٥، سير أعلام النبلاء لشمس الدين. تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط: مؤسسة الرسالة. الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م. ٤ / ٥٨٩ ، شعراء النصرانية ٨/ ١٧٢ .

(٢) يُنظر: شعراء النصرانية ٨/ ١٧٣.

(٣) يُنظر: مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٢١٢

(٤) يُنظر: تاريخ الإسلام ٢/ ١٠٥٥، سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٨٩ ،

وثانيا مرّة وسكّيتا[١] مرة "[٢]. ثم قال: "وكان الأخطل يشبّه من شعراء الجاهلية بالنابغة الذّبيانىّ"[٣].

وفاته:

لم تحدد مصادر التاريخ والتراجم سنة وفاته إلا أن المذكور عندهم أنه عمّر عمرًا طويلًا، وأنه مات قبل الفرزدق بسنوات[٤].

أبياته في وصف الناقة:

تأتي هذه الأبيات ضمن قصيدته اللامية التي نظمها على البحر البسيط معارضًا بها لامية كعب بن زهير(بانت سعاد) ، وكانت مناسبة القصيدة: هجاء بني كلب، وعلى الرغم من كون الهجاء هو غرضها الأساسي، إلا أنه لم يقع إلا في أربعة أبيات من قصيدته التي بلغ عدد أبياتها اثنين وثلاثين بيتًا، وقد استهلّها الأخطل بالجملة ذاتها(بانت سعاد) ، مفتتحًا إياها بالغزل الذي استغرق عشرة أبيات منها، لينتقل منه إلى وصف الناقة الذي استغرق ثماني عشر بيتًا هي التي دارت حولها الدراسة، وهذه الأبيات هي قوله:

فَّسَلِّها بِأَمونِ اللَيلِ ناجِيَـةٍ ... فيها هِبابٌ إذا كَـلَّ المَراسيـلُ[٥]

---

(١) السكيت: بضم السين وتشديد الكاف وتخفيفها أيضا: الذى يجيء في آخر الحلبة آخر الخيل.

(٢) الشعر والشعراء١ / ٤٧٣ .

(٣) السابق نفسه

(٤) يُنظر: مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٢١٢ ، تاريخ الإسلام ٢/ ١٠٥٥، سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٨٩ .

(٥) سلا عن الشيء: إِذَا نَسِيَ ذكْره وذَهِلَ عَنْهُ. وناقةٌ أَمون: أَمينةٌ وثِيقةُ الخَلْقِ، قَدْ أُمِنَتْ أَن تَكُونَ ضَعِيفَةً، وَهِيَ الَّتِي أُمِنتْ العِثَارَ والإِعْياءَ. ناجية: سريعة من النَّجَاء، وهو السُّرْعة فِي السَّيْرِ. والهِبابُ: النَّشاطُ. المراسيل: جمع مِرْسال، وهي النَّاقَةُ السَّهْلَةُ والسريعة السَّيْرِ. يُنظر: لسان العرب. المواد (سلا، أمن، نجي، هبب، رسل).

قَنواءَ نَضّاخَةِ الذِفرى مُفَرَّجَةٍ ... مِرفَقُها عَن ضُلوعِ الزَورِ مَفتولُ[١]
تَسمو كَأَنَّ شَرارًا بَينَ أَذرُعِها ... مِن ناسِفِ المَروِ مَرضوخٌ وَمَنجولُ[٢]
كَأَنَّها واضِحُ الأَقرابِ في لِقَحٍ ... أَسمى بِهِنَّ وَعَزَّتهُ الأَناصيلُ[٣]

---

(١) قنواء: القَنا فِي الأَنف: طُولُهُ ودِقَّة أَرْنبته مَعَ حدَب فِي وَسَطِه. نضاخة : النَّضْخ: شِدَّةُ فَوْرِ الْمَاءِ فِي جَيَشانه وَانْفِجَارِهِ مِنْ يَنْبوعه، والمراد هنا: شدة رشح ذفريها بالعرق. الذفرى: الْعَظْمُ الشَّاخِصُ خَلْفَ الأُذن. والأَفْرَجُ والمفرّج: الْعَظِيمُ الأَلْيَتَيْنِ لَا تَكادان تَلْتقيان، وفي شرح السُّكّري لشعر الأخطل: المفرّجة: البعيدة المرفقين من إبطيها، بذلك توصف كرام الإبل. مفتول: والفَتَلُ، بالتحريك: تباعد ما بين المرفقين عن جنبي البعير. يُنظر: لسان العرب. المواد (قنو، نضخ، ذفر، فرج)، والصحاح (مادة فتل)، ديوان الأخطل (شعر الأخطل. أبي مالك غياث بن غوث التغلبي. صنعة السُّكّري. روايته عن أبي جعفر محمد بن حبيب . تحقيق: د/ فخر الدين قباوة (اعتمد فيه على نسخة نقلت من خط المؤلف) . ط: دار الفكر. دمشق ١٩٩٦ . ص ٥٠ .

(٢) تسمو: السمو: العلو والارتفاع. وَالشَّرَارُ مَا تَطَايَرَ مِنْ النَّارِ. ناسف: من قولهم: نَسَفَتِ الريحُ الشَّيْءَ تَنْسِفُه نَسْفاً وانْتَسَفَته: سلبَتْه، والنَّسْفُ: القَلْع، المَرْوُ: حِجَارَةٌ بيضٌ بَرَّاقة، ناسف المرو: ما تقتلعه من الحجار البيض خلال عدوها. مرضوخ: من قولهم: رَضَخ النَّوَى وَالْحَصَى وَالْعَظْمَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْيَابِسِ يَرْضَخُه رَضْخًا: كَسَرَهُ. منجول من النَّجْل: الرَّمْيُ بِالشَّيْءِ، وَقَدْ نَجَلَ الشيءَ أَي رمَى بِهِ. وَالنَّاقَةُ تَنْجُلُ الحَصَى مَناسِمُها نَجْلًا أَي ترمِي بِهِ وَتَدْفَعُهُ. . يُنظر: لسان العرب. المواد (نسف، مرو، رضخ، نجل) ، المصباح المنير – شرر.

(٣) الوَضَحُ: البياضُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ والقُرْبُ: الخاصِرة، وَالْجَمْعُ أَقرابٌ، وواضح الأقراب: ذو الخواصر البيض، والمراد به: حمار الوحش، لقح: أراد به أُتنه التي لقحها فحملت منه. أسمى: نزل السماوة، وهي مفازة بين الكوفة والشام، عزته: غلبته، الأناصيل: جمع أنصولة، وهي: ما يُوبِسُهُ الحَرُّ من البُهْمَي (نبات) ، وَيَخْرُجُ لَهَا إِذا يَبِسَتْ شَوْك مِثْلَ شَوْكِ السُّنْبُل، وإِذا وَقَع فِي أُنوف الغَنَم والإِبل أَنِفَت عَنْهُ حَتَّى يَنْزِعه الناسُ مِنْ أَفواهها وأُنوفِها، ومعنى عزته الأناصيل: غلبه شوكها ، ويحتمل أن يكون المعنى: عزت عليه فلم يجدها إذ هي علامة على وجود الكلأ والعشب في أقرب وقت إذَ يَخْرُجُ لَهَا إِذا يَبِسَتْ شَوْك يصير كلأ يَرْعاه النَّاسُ حَتَّى يُصِيبه المطَر مِنْ عامٍ مُقْبِل، ويَنْبت=

تَذَكَّرَ الشُّربَ إِذ هاجَت مَراتِعُهُ ... وَذو الأَشاءِ طَريقُ الماءِ مَشغولُ(١)
فَظَلَّ مُرتَبِئًا عَطشانَ في أَمرٍ... كَأَنَّ ما مَسَّ مِنهُ الشَمسُ مَملولُ(٢)
يَقسِمُ أَمرًا أَبَطنَ الغَيلِ يورِدُها .... أَم بَحرَ عانَةَ إِذ نَشفَ البَراغيـــلُ(٣)
فَأَجمَعَ الأَمرَ أُصلًا ثُمَّ أَورَدَهـــا ... وَلَيسَ ماءٌ بِشُربِ البَحرِ مَعدولُ(٤)

=مِنْ تحتِه حبُّه الَّذِي سقَط مِنْ سُنْبُله. يُنظر: لسان العرب. المواد (وضح، قرب)، والصحاح (مادة نصل، بهم).

(١) هاجت: يبست. رتع: الرَّتْعُ: الأَكل وَالشُّرْبُ رَغَداً فِي الرِّيف، ، وَالْمَوْضِعُ مَرْتَعٌ، وكلُّ مُخْصِب مُرْتِع. الأَشَاءُ: صِغار النَّخْل، وَوَادِي الأَشاءَيْنِ: مَوْضِعٌ؛ وَوَادِي أُشَيّ وأَشِيّ: مَوْضِعٌ؛ وَيُقَالُ لَهَا أَيضاً: الأَشاءَة؛ وَهُوَ وَادٍ بِالْيَمَامَةِ فِيهِ نَخِيلٌ. يُنظر: تهذيب اللغة (مادة هيج) ، لسان العرب (رتع، أشي).

(٢) مرتبِئاً: من الارتباء، وهو: أن يقف على مرتفع من الأرض ليرقُب، ومنه قيل لعين القوم الربيئة. والأَمَرُ بالتحريك: جمعُ أَمَرَةٍ، وهي العَلَمُ الصغير من أَعلام المفاوز من الحجارة. مملول: اسم مفعول من المَلَّةُ: الرَّماد والجَمْر: يُقال: مَلَلْتُ الخَبْزَةَ أَمُلُّها في المَلَّة مَلاً فهي مملولة، وكلّ شيءٍ تَمُلُّهُ في الجمر فهو مملول. يُنظر: مادة (ربأ) في مجمل اللغة لابن فارس، أساس البلاغة، المعجم الوجيز، ويُنظر أيضًا: الصحاح (مادة أمر) ، العين (باب اللام والميم . مل).

(٣) وقَسَمَ أَمرَه قَسْماً: قَدَّره ونَظَر فِيهِ كَيْفَ يَفْعَلُ. الغَيل– بالفتح: الْمَاءُ الْجَارِي عَلَى وَجْهِ الأَرض ، وَقِيلَ: مَا جَرَى مِنَ الْمِيَاهِ فِي الأَنهار والسَّواقي ، والغِيلُ – بالكسر: الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفُّ، عانة: اسم القطيع من حمر الوحش، واسم موضع أيضًا (قرية منْ قُرى الْجَزِيرَةِ، وقيل: قَرْيَةٌ عَلَى الفُرات. البراغيل: القُرَى، والأراضي القريبةُ من الماءِ، أو البِلادُ بين الريفِ والبَرِّ، الواحدُ: بِرْغيلٌ، بالكسر. يُنظر: لسان العرب. مواد(قسم، غيل، عون)، القاموس المحيط– برغل.

(٤) أصلًا: جمع أصيل، وهو العشيّ. معدول: اسم مفعول بمن عدل أي ساوى، فمعدول معناه: مُسَاوَى، جاء في هامش تحقيق الديوان ص٥١: " يريد: وليس الشأن ماء يعدل شرب البحر". يُنظر: جمهرة اللغة – عدل، أصل

فَهاجَهُنَّ عَلى الأَهواءِ مُنحَدِرٌ... وَقعُ قَوائِمِهِ في الأَرضِ تَحليلُ(١)
قارِحُ عامَينِ قَد طارَت نَسيلَتُهُ ... سُنبُكُهُ مِن رُضاضِ المَروِ مَفلولُ(٢)
يَحدو خِماصًا كَأَعطالِ القَسِيِّ لَه ... مِن وَقعِهِنَّ إِذا عاقَبنَ تَخبيلُ(٣)
أَوْرَدَهَا مَنْهَلًا زُرْقًا شَرَائِعُـه ... وَقَدْ تَعَطَّشتْ الجِحْشَانُ والحُـولُ(٤)
يَشْرَبْنَ مِن بارِدٍ عَـذبٍ وَأَعيُنُها ... مِن حَيثُ تَخشى وَوارى الرامِيَ الغيلُ
نالَت قَليلاً وَخاضَت ثُمَّ أَفزَعَهـــا ... مُرَمَّلٌ مِن دِماءِ الوَحشِ مَعلــولُ(٥)
فَانْصَعنَ كَالطَيرِ يَحدوهُنَّ ذو زَجَلٍ ... كَأَنَّــه في تَواليهِنَّ مَشكــولُ(٦)

---

(١) هاجهن: أثارهن وصاح بهن لينطلقن. اللسان – هيج.

(٢) قارح عامين: قال الشارح ص ٥٢: " أي له عامان قد قرح"، والقارح من الحوافر: الذي دخل في السنة الخامسة من عمره، نقل الأزهري في تهذيبه: " إِذا سَقَطَتْ رَبَاعِيَةُ الْفرس ونَبَتتْ مكانَها سِنٌّ فَهُوَ رَباع، وَذَلِكَ إِذا اسْتَتَمَّ الرَّابِعَة، فَإِذا حَان قروحه سَقَطت السِّنّ الَّتِي تلِي رَباعيَتَه وَنبت مكانَها نابُه، وَهُوَ قارحُه وَلَيْسَ بعد القُروح سُقوطُ سنّ وَلَا نَبَات سنَ، قَالَ: وَإِذا دخل فِي الْخَامِسَة فَهُوَ قارحٌ". النسيلة: ما تساقط من شعر الدابة أو وبرها. السُّنْبُك: طرَفُ الحافِرِ وَجَانِبَاهُ مِنْ قُدُمٍ. يُنظر: تهذيب اللغة – قرح ، القاموس المحيط – نسل ، اللسان – سنبك

(٣) خماصًا: ضوامر. أعطال القسي: من قولهم: قَوْسٌ عُطُلٌ: لَا وَتر عَلَيْهَا. تخبيل: من الْخَبَلُ، وهو: الْجِرَاحَةُ. يُنظر: اللسان – خمص ، عطل ، تهذيب اللغة – خبل

(٤) الجحشان: جمع جحش، وهو: ولد الحَمِير من حِين تَضَعُه أُمُّه إِلَى أَن يُفْطَمَ من الرَّضاع، الحول: جمع حائل، وهي التي لا حمل بها، والمقصود بها هنا الأُتن الصغار اللاتي لم يلقحن بعد، يُنظر: تهذيب اللغة – جحش، حول.

(٥) مرمّل: من قولهم: رُمِّل فلانٌ بالدَّم إِذا لُطِّخ بِهِ. معلول: اسم مفعول من العلل، وهو: السقي من الماء مرة بعد مرة، والمراد به هنا: ارتواء سهم الصائد من دماء فرائسه من حمر الوحش مرة بعد مرة. يُنظر: تهذيب اللغة – رمل، علل.

(٦) الزجل بالتحريك: الصوت. التَّوالِي: الأَعْجازُ لإِتْباعِها الصُّدُورَ. مَشْكُولُ: مقُيّدَ بالشِّكال، وَهُوَ العِقالُ. الصحاح – زجل ، المحكم والمحيط الأعظم – تلو ، تاج العروس – شكل.

مُستَقبِلٌ وَهَجَ الجَوزاءِ يَهجِمُهـا ... سَحَّ الشَآبيبِ شَدٌّ فيهِ تَعجيـلُ(١)

إِذا بَدَت عَورَةٌ مِنها أَضَرَّ بِها ... بادي الكَراديسِ خاظي اللَحمِ زُغلولُ(٢)

يَتبَعُهُ مِثلُ هُدّابِ المُلاءِ لَـهُ ... مِنها أَعاصيرُ مَقطوعٌ وَمَوصولُ(٣)

---

(١) الوَهَج: حرُّ النّارِ والشَّمْس من بعيد. الجَوْزاء: بُرجٌ فِي السماءِ، سُمِّيَت لأنّها مُعترِضةٌ فِي جَوْزِ السماءِ، أَي وسطِها. يهجمها: قال الزبيدي: " الهَجْمُ: (العَرَقُ) لسَيَلانِهِ، (وَقد هَجَمَتْهُ الهَواجِرُ) ، أَي: أسالَتْ عَرَقَهُ، وَهُوَ مجازٌ". الشَّدُّ: العَدْوُ. التَعْجيل: الحَثّ . العين – وهج ، تاج العروس – جوز ، تاج العروس – هجم ، شدد ، مقاييس اللغة – عجل .

(٢) العورة: كل خلل يُتخوَّف منه. الكراديس: جمع كردوس، وهو كلُّ عظمين التقيا في مَفْصِلٍ نحو المنكبين والركبتين والوِركين. الْخَاظِي: الكثيرُ اللَّحمِ. زغلول: خفيف. يُنظر: الصحاح (عور ، كردس) ، اللسان (خظا، زغل).

(٣) والهُداب: أطراف الثوب أو الإزار. المُلاء: الملاحف. الإعصار: قال صاحب العين: "الغبار الذي يستدير ويسطع"، وفي تهذيب اللغة: "والإعصار: هِيَ الرّيح الَّتِي تَهُبُّ من الأَرْض كالعَمُود الساطع نَحْو السَّمَاء، وَهِي الَّتِي يسمّيها بعض النَّاس الزَّوْبَعة، وَهِي ريح شَدِيدَة، لَا يُقَال لَهَا إعصار حَتَّى تَهُبّ كَذَلِك بِشدَّة". يُنظر: اللسان – هدب، ملأ ، ويُنظر أيضًا مادة عصر في العين وتهذيب اللغة.

المحور الأول
الوصف بالكلمة

ويشتمل على:

أولًا: الدلالة المعجمية.

ثانيًا: دلالة الوزن الصرفي .

ثالثًا: دلالة النعت.

أولًا: الدلالة المعجمية

وُفِّق كعب بن زهير في اختيار مجموعة من المفردات ذات دلالات معجمية متناسبة ومتلائمة مع ما انطوت عليه نفسه من مشاعر وأحاسيس من جانب، ومنسجمة تمام الانسجام مع طبيعة المقام الذي سيقت فيه من جانب آخر.

فلفظ **(العتاق)** الذي بدأ به نعوت ناقته هو جمع (عتيق) ، والعتيق: الكريم الرائع من كل شيء ، وفي هذا الوصف دلالة على كون هذه الناقة كريمة الأصل والمنبت.

و**(النجيبات)** جمع (نجيبة) ، والنجيب من الإبل: القويّ منها الخفيف السريع.

و**(المراسيل)** جمع (مرسال) ، وهي الناقة السهلة السير السريعة الخطو، وفي هذين الوصفين دلالة على قوّتها وخفّتها وسرعتها، وتجسيد لثقة الشاعر البالغة في قدرة هذه الناقة الفائقة على الإسراع به إلى أرض محبوبته البعيدة.

ومن ناحية أخرى فإن تتابع هذه الصفات الثلاث وتواليها في الذكر دون عاطف يوحي باجتماعها فيها، وتشابكها وتلاحمها وعدم انفكاك إحداها عن الأخرى حتى كأنها صفة واحدة، وهذا ولا شكّ أبلغ في التأكيد على تميُّز هذه الناقة وتفرُّدها.

وأما لفظة **(عذافرة)** فبها صوّر لنا الشاعر عِظم حجمها ومتانة خلقها وشدّة بُنيانها؛ إذ إن هذه اللفظة تُطلق في اللغة على: الناقة الصُّلبة العظيمة الشديدة، وهي صفات تؤهّلها لهذه المهمة – على وعورتها – بل تجعلها هي الأجدر بها، والأولى بإنجازها.

والوصف الخامس الذي وصف به كعب ناقته هو **(نضَّاخة الذِّفرى)** ، وأراد به أن ذفرى ناقته – وهو خلف الأذن منها – كثير النّضخ بالعرق، وفي هذا الوصف دلالة على شدة سيرها، وإجهادها نفسها فيه من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: إيثار الشاعر مادة (النضخ) دون (النضح) ، وهي أقوى في الدلالة على اندفاع الماء، وذلك لأن (النَّضْخ) في اللغة : "شِدَّةُ فَوْرِ الْمَاءِ فِي جَيَشانه وَانْفِجَارِهِ مِنْ يَنْبوعه"(١) ، وأما (النَّضْحُ) فمعناه: "الرَّشُّ" (٢)، وفي ذلك قال ابن جني: " النضح للماء، والنضخ أقوى من النضح, قال الله سبحانه: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾(٣) ، فجعلوا الحاء – لرقّتها – للماء الضعيف, والخاء –لغلظها– لما هو أقوى منه" (٤).

والوجه الثاني: ورود اللفظ **(نضّاخة)** على صيغة المبالغة (فعّال) التي أفادت المبالغة في نضخ العرق وكثرته.

والوجه الثالث: الاستعارة التبعية في الوصف **(نضّاخة)** ، حيث شبه رشحها العرق بالنضخ، والجامع: شدة الماء الخارج وكثرته، وبهذه الاستعارة أكّد الشاعر على غزارة عرقها الناتج عن اشتدادها في سيرها، وسرعتها في خطوها، وهذا لا يكون إلا من حيويّتها ونشاطها، وامتلائها بماء الحياة والرونق، وفي هذا إشارة من طرف خفي إلى ثقته في تحقيقها ما يؤمله منها، وهو أن تبلّغه محبوبته في أقصر وقت.

ثم اتّكأ الشاعر على مجموعة من الصفات تصوّر لنا بوضوح أعضاء ناقته حتى كأننا نشاهدها ماثلة أمامنا، وهذه الصفات هي: **(ضخم مقلّدها ، فعم مقيّدها ، غلباء ، وجناء ، علكوم ، مذكّرة)** ، ومعنى ضخم مقلّدها: ضخمة العنق، ومعنى فعم مقيّدها: ممتلئة الساق، والغلباء: الغليظة العنق،

---

(١) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) . ط: دار صادر . بيروت. الثالثة . ١٤١٤هـ. (مادة نضخ) .

(٢) السابق – نضح

(٣) الرحمن : ٦٦ .

(٤) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ). ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الرابعة. ٢/١٦٠ .

والوجناء: العظيمة الوجنتين، ومعنى علكوم: شديدة، ومعنى مذكّرة: عظيمة الخلقة تشبه الذكران من الأباعر، وقد أدت هذه الصفات مجتمعة المعنى الذي أراده الشاعر منها، وهو: التأكيد على عظم خلقها، وضخامة أعضائها، مما يوحي بقدرتها الفائقة على السير، وقوتها على مواصلة المسير حتى تبلغ به أرض محبوبته سعاد.

وأما وصفها – بعد ذلك – بـ **(حرف)** فهو تشبيه لها بحرف الجبل، وهو القطعة الخارجة منه، وأراد به تصوير شدتها وقوتها، وتقريب هذا المعنى وتأكيده في الأذهان، ومن معاني الحرف أيضًا: الناقة المهزولة الضامرة، شبهت بحرف النون؛ لدقتها وهزالها، وليس هذا المعنى مرادًا هنا كما فهم البعض؛ وذلك لأنه ذكر من صفاتها آنفًا ما يناقض وصفها بالهزال من نحو صفاتها السابقة **(ضخم مقلّدها، فعم مقيّدها، غلباء، وجناء، مذكّرة)** ، ووصفها الآتي : **(قُذفت باللحم عن عرض)** ، وغيرها من الصفات التي تدل على صلابتها وشدتها، وضخامة أعضائها وامتلائها.

و**(القوداء)** : الطويلة العنق، وهي صفة عتق ونجابة، و**(الشمليل)** : الخفيفة السريعة، وفيه تأكيد على هذه الصفة حيث ذكرها آنفا. ووصفها بـ **(عيرانة)** : تشبيه لها بعير الوحش، وهو وصف يحمل في طياته معاني السرعة والنشاط والصلابة والقوة أيضًا. وقد أفادت هذه الصفات الأخيرة المبالغة في الوصف؛ نظرًا لزيادة مبناها التي تستلزم الكثرة والتأكيد.

وأما **الأخطل** فقد أوجز في ذكر نعوت ناقته المفردة، واقتصد في ذلك اقتصادًا كبيرًا، وقد جاء ذلك على أحد وجهين: الأول: ما مدحها به مباشرة، والثاني – وهو الأغلب عنده – : ما مدحها به بواسطة إسناده إلى الحمار الوحشي الذي شبهها به، أما الأول: فقد جاء في مفردات خمسة: ثلاثة منها سبقه إليها كعب، وهذه النعوت الخمسة هي **(أمون الليل ، ناجية ، نضاخة الذفرى ، مفرجة ، قنواء)** ، وأما الثاني: فأوله تشبيهها بالحمار الوحشي في قوله: "**واضح الأقراب**"، ثم ما أسنده إليه من النعوت كـ **(مرتبئًا ، عطشان،**

منحدرٌ، قارح عامين، ذو زجل، بادي الكراديس، خاظي اللحم، زغلول) ، ونحوها من الألفاظ التي كانت لها دلالاتها في المشبه به والمشبه، وأثرها في إيضاح الفكرة وتعميق المعنى.

و**(الأمون)**: لفظ مصوِّر بجرسه لمعناه، فهو يعني: الناقة القوية على السير التي يؤمَن عثارها فيه، وفي إضافتها إلى الليل دلالة على بلوغها الغاية في الوصف؛ إذ يؤمَن عثارها في الليل وقت اشتداد الظلام، وفي النهار من باب أولى، و**(الناجية)**: هي السريعة في سيرها، وأما الوصفان **(نضاخة الذفرى، قنواء)** فقد سبقه إليهما كعب، وتقدّم توضيحهما وبيان المراد منهما.

و**(المفرجة)**: "البعيدة المرفقين من إبطيها، بذلك توصف كرام الإبل، وإذا دنا المرفق من إبطها أصابه ضاغط، وهو أن يضغط جلده حتى يدمى"(١)، وفي تضعيف الاسم دلالة على أنها بيّنة الفرج أي شديدة بُعد مرفقيها من إبطيها؛ إذ إن زيادة المبنى دليل زيادة المعنى، ولا شكّ في أن هذه الزيادة أبلغ في الوصف، وأدخل في المدح، وتلك هي الصفات التي خلعها الشاعر على ناقته مباشرة، ومن الملاحظ أنه اتفق مع كعب في تتابع هذه النعوت وتواليها في الذكر دون عاطف؛ لما سبقت الإشارة إليه من أن هذا دليل تشابكها وتلاحمها وقوة اتصالها وما وراء ذلك من التأكيد على تميُّز هذه الناقة وتفرُّدها.

وأما الصفات الأخرى فأولها قوله: " **واضح الأقراب**" ، والواضح: الأبيض، والأقراب: جمع قُرب، وهي الخاصرة، **وواضح الأقراب:** ذو الخواصر البيض، وهو كناية عن الحمار الوحشي، وفي جمع **(الأقراب)** – مع أنه ليس له إلا خاصرتان – دلالة على امتلائهما وضخامتهما، ووراء ذلك إيحاء بعِظَم الهيئة، ومتانة الخلقة. وفي تشبيه الشاعر ناقته به دلالة على قوتها على الرحلة والسير، وأنها يُعتمد عليها؛ لما ارتبط به ذكر هذا الحيوان في شعر

(١) شرح السُّكّري على شعر الأخطل. ص ٥٠.

الجاهليين من كونه رمزًا للترحال المستمر، ومواجهة المخاطر، والتغلُّب عليها- كما سيأتي، وتسمية حمار الوحش **(واضح الأقراب)** موجود في شعر الجاهليين، من ذلك قول حاجب بن حبيب الأسدي:

كأنَّها وَاضِحُ الأَقْرَابِ حَلَّأَهُ ... عن ماءِ مَاوَانَ رَامٍ بَعْدَ إِمْكَانِ(١)

وقول ذي الرمة:

وعيناء مبهاج كأن ثيابها ... على واضح الأقراب من رمل عاجف (٢)

وأطلقه علقمة الفحل على الصبح في قوله:

ساروا جميعًا وقد طال الوجيف بهم ... حتى بدا وَاضِحُ الأَقْرَابِ مشهور(٣)

وقوله: "**مرتبئًا**" من الارتباء، وهو: أن يقف على مرتفع من الأرض ليرقُب، ومنه قيل لعين القوم الربيئة(٤)، ومعنى هذا الوصف: أن هذا الحمار

---

(١) هذا البيت ذكره المفضل الضبي (ت نحو ١٦٨هـ) في كتابه المفضليات. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون. ط: دار المعارف. القاهرة. السادسة. ص ٣٧٠ ، كما ذكره الأصمعي (ت: ٢١٦هـ) في الأصمعيات . تحقيق: احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون. ط: دار المعارف – مصر .السابعة ١٩٩٣م. ص ٢٢١.

(٢) ديوان ذي الرمّة. شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي. رواية الإمام أبي العباس ثعلب. حققه وقدّم له وعلّق عليه: د/ عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الإيمان. الأولى. ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م. ٣/ ١٦٣٠.

(٣) ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري. حققه: لطفي الصقال، دريّة الخطيب. راجعه: د/ فخر الدين قباوة. ط: دار الكتاب الغربي بحلب. الأولى. ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م. ص ١١٢.

(٤) يُنظر مادة (ربأ) في مجمل اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت ٣٩٥هـ). دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. ط: مؤسسة الرسالة. بيروت. الثانية. ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م. ١/ ٤١٧ ، أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م. ١/ ٣٢٧.

الوحشيّ لما أراد الماء ظلّ يرقب الطريق، وينظر أين يجد الماء، وفي بناء الوصف على (مفتعل) إيحاء بالجدِّ والتعمُّل، وشدة الحرص يضفي على ناقة الشاعر صفة الحكمة، و يجعلها لا تصدر إلا عن روية وتفكير عميق، فتُجنِّبه المهالك.

وقوله: "**عطشان**" فيه إشارة إلى علة الارتحال عن هذا المكان القفر، وهي حاجته إلى الماء، وفقده فيه، وهنا ملمح دقيق يتفتق عنه هذا الوصف خاصة، وهو أن ما ذكره الشاعر من صفات الحمار الوحشي السابقة، وما سيذكره بعده يجد فيه المتأمل دلالة تنعكس على ناقة الشاعر، إلا هذه الصفة التي قد يلاحظ فيها أنها ترمز إلى علة ارتحال الشاعر بناقته، وتعكس ما انطوت عليه نفسه من مشاعر الأسى والحزن لفراق محبوبته، فيرى التشابه واقعًا بين الحمار الوحشي والشاعر في الرحلة من ألم الفقد، فالأول رحل لفقد الماء، والثاني رحل لفقد الحبيب.

إلا أن مزيدًا من التفكُّر والإغراق في التأمُّل لَيُبرز له – أي للمتأمّل – معنى جديدًا أراده الشاعر، ويؤكّد له أن التشابه في هذه الصفة (**عطشان**) واقع بين الحمار والناقة لا بين الحمار والشاعر، وذلك أن الشاعر أراد أن يبرز ناقته في صورة من يشاركه آلامه وأحزانه وأزماته، ليس ذلك فحسب، بل إن هذه الصفة لَتحركُ فيها طاقة من الإخلاص تجعلها تُحِسُّ بما يُحِسُّ، وتتألّم بما يتألم، فتخلق فيها شخصًا متألِّمًا مريدًا للارتحال للخلاص من آلامه، وفي هذا كله دلالة على صدق إحساسها به، وعظيم إخلاصها في مرافقته.

وقوله: "**مُنْحَدِر**" أي نازل من أعلى المرتفع إلى أسفله، وفي التعبير بالاسم دلالة على الانحدار بقوة، وأن نزوله من الأعلى إلى الأسفل لم يتخلله وقوف أو راحة، وإلا كان التعبير بالفعل (ينحدر) هو المختار هنا، ولا سيما مع اتحاد الصيغتين في الوزن.

وقوله: "**قارح عامين**": " من قولهم قرح الحمار إذا شقّ نابه وطلع، وذلك في السنة الخامسة، و"**قارح عامين** أي له عامان بعد القروح" [1]، وفي هذا الوصف دلالة على عنفوان شبابه ووفور نشاطه، وانعكاس لتلك الدلالة على ناقة الشاعر.

وقوله: "**ذو زجل**" معناه: ذو صوت وجلبة، وفيه دلالة على اشتداده في السير؛ لأن البعير إذا أجهد نفسه واشتد في السير سُمِع له صوت، وقد يكون المراد هنا: الصوت الذي يصدر عنه يستحثُّ به أتنه على السير، وفيه دلالة على أخذه بيديها، ومواصلة حثها بكل ما يتاح له من وسائل.

وقوله: "**بادي الكراديس**" أي: واضح الكراديس، وهي رؤوس العظام، وقوله:" **خاظي اللحم**" أي مكتنز اللحم كثيره، والمتأمل في هذين الوصفين يلاحظ تناقضهما إذ كيف تبدو كراديسه وتبرز وهو ممتلئ كثير اللحم!! ولعل الرواية الثانية **(خَلُّ اللحم)** أي: قليل اللحم هي الأكثر مناسبة للصفة المذكورة قبلها **(بادي الكراديس)** ، وللأخرى المذكورة بعدها **(زغلول)** والتي تفيد خفّته، بل هي الأقرب رحمًا بالمعنى الذي أراده الشاعر من إيراد هذه الصفات الثلاثة مجتمعة متتالية، وهو الدلالة على فرط سرعته الناتجة عن قلة لحمه وخفته، كما أنها الأكثر وفاءً في التأكيد على تلك المعاني في المشبه (ناقة الشاعر).

وبناء على ما سبق يستطيع البحث أن يوازن بين الشاعرين في النقاط الآتيـــــــة:

أولًا: أفاض **كعب** في ذكر نعوت ناقته وأوصافها، واتسع في ذلك اتساعًا كبيرًا، فأتى بالمترادفات وأعاد ذكر المعنى الواحد في أكثر من مفردة، فكثرت النعوت المفردة عنده حتى بلغت ستة عشر نعتًا تعود في أغلبها إلى ثلاثة معان: أولها: الخفة والسرعة، وهذا المعنى تؤديه المفردات: **(النجيبات، المراسيل، شمليل)**، وثانيها: الشدة والصلابة في المفردات **(عيرانة، علكوم، عذافرة ،**

(١) شرح السُّكّري على شعر الأخطل. ص ٥٢ .

حرف) ، وثالثها: عظم الخلقة وضخامة الأعضاء والذي تؤديه كاملًا اللفظة **(مذكّرة)** ، وفيها غناء عن تجزئته في المفردات: **(ضخم مقلّدها، فعم مقيّدها، غلباء، وجناء)**، وبهذا يتضح أنه لم يبق من مفرداته إلا أربعة أفادت كل منها معنى مستقلًا ، وهي **(العتاق ، نضاخة الذفرى، قــوداء، قنواء)**، وأما **الأخطل** فقد أوجز في ذكر نعوت ناقته، وخلت مفرداته من مثل هذا التكرير المعنوي الذي شاع في مفردات كعب.

ولعل السبب وراء كثرة نعوت كعب وتكرارها وقلة نعوت الأخطل واقتصارها هو طبيعة الموقف الذي وصف فيه كل منهما ناقته، ونوع المهمة المنوطة بها ناقة كلٍّ، **فكعب** يريد أن يصل إلى محبوبته التي نأت عنه، وناقته هي وسيلته إلى بلوغها في تلك الأرض البعيدة التي لا يقوى على بلوغها إلا نوع خاص من النوق، ذلك النوع الذي توافرت فيه كل صفات العتق والقوة والسرعة، فلذا عمد إلى وصفها بتلك الصفات التي تؤهّلها للقيام بهذه المهمة، وتجعلها تنجح فيه بلا إخفاق، وليس ذلك فحسب، بل إنه عمد إلى التأكيد على هذه الصفات المذكورة آنفًا بذكر ما يدل عليها من الألفاظ مرارًا وتكرارًا؛ لأن هذه الأرض التي سكنتها محبوبته لما كانت بعيدة، والطريق إليها وعر غير ممهَّد كان ذلك مظنة أن لا يقوى على بلوغها إلا كرام الخيل، وأن ناقةً – بطبيعة خلقها – لا يُظن بها القدرة على إنجاز هذه المهمة، فكان التأكيد على اتصافها بما يؤهلها لأداء تلك المهمة على أكمل وجه هو طريقه الأمثل؛ حتى يحرِّك في المتلقي ما يجده هو في نفسه من اطمئنان إليها وثقة شديدة بقوتها وقدرتها على ذلك، وحتى ينقل إليه تجربته وصدق انفعاله بها.

ثم إن مقام القصيدة، وغرضها العام الذي سيقت لأجله كان سببًا في كثرة نعوته أيضًا، وذلك أنه نظمها في مقام الاعتذار للنبي – ﷺ – مما فرّط فيه تجاهه، والاعتذار من المقامات التي تقتضي بسط الحديث، وإطناب العبارة، كأن كعبًا أراد بكثرة هذه النعوت، وتعددها، وتنوُّعها استلال سخيمة الغضب من قلب رسول الله – ﷺ – ، وتهيئته لما يريد، حتى إذا وصل إلى

غرضه الأساسي، يكون المخاطب قد هدأت نفسه، وسكنت ثورة الغضب عنده، فلعلَّه يقبل اعتذاره، ويعفو عنه، وقد كان لكعب ما أراد.

وأما **الأخطل** فقد ضاقت نفسه لفراق محبوبته، وآلمه هجرها إياه، فقرر نسيانها، والتسلي عما لحقه من الهم والحزن بالارتحال، ومعلوم أن مقام الضيق والهم يجنح فيه المرء إلى الإيجاز في القول، والاقتصاد في العبارة وعدم الاستطراد في ذكر التفاصيل، فلذا لم يركز على استقصاء كل صفات الناقة، وتتبُّع نعوتها الخلقية والخلقية، ولم يجهد نفسه في تأكيد النعوت بذكر مرادفاتها كما فعل كعب؛ إذ لم تكن ناقته إلا وسيلة للترفيه والتسرية عن النفس وتسليتها عن فراق الحبيبة، فكان من الطبيعي أن يكتفي بذكر بعض ما يؤهلها لذلك دون حاجة إلى استقصاء أو تأكيد عليه. غير أن ثَـــمَّ وجهًا آخر يلوح للناظر من السياق الذي وصف فيه الأخطـــل ناقته جعله يغفل استقصاء صفاتها، و يركز جُلّ اهتمامه على سرد قصة حمار الوحش مع أتنه الحوامل، وهو أنه أراد "من وراء هذه القصة التعبير عن مشاعره الدفينة حيال حاجته الماسة إلى أسرة يعيش في كنفها أو امرأة يتزوجها" [١] .

ثانيًا: إن نظرة متأنية في مفردات كلٍّ منهما لتثبت لصاحبها أن في معاني الأخطل التي أودعها ألفاظه غناء عن جلّ معاني كعب، ولا عكس، وذلك لما تقدّم في العنصر السابق من أن ألفاظ كعب تدور في معظمها حول معاني (العتق والقوة والسرعة) ، وهي معانٍ ذكرها الأخطل في ألفاظه في وصف ناقته، وزاد عليها معنى (حسن الاعتماد عليها في مواجهة المخاطر والخلاص منها) ، وهو معنى أغفله كعب، ولم يتعرض إليه.

ثالثًا: مدح كل واحد من الشاعرين ناقته بصفات اتفق العلماء على عدّها من محاسن الإبل، ولم يخرجا عن هذا إلا في الوصف **(قنـواء)** ، ومعناه:

---

(١) دور الحيوان في التعبير عن التجربة الجاهلية. حمار الوحش نموذجًا. د/ سليمان الطعّان .بحث منشور بمجلة اللغة العربية بدمشق. العدد(٨٤) الجزء (٢) ص٤٩١ .

محدودبة الأنف ، فقد عدّاه مدحًا ، " والمنقول عن العرب أن القنا عيب في الإبل والخيل" [1]، إلا أن كعبًا استحسنه فيها، وتبعه الأخطل في استحسانه. كذلك فإن وصف كعب لناقته بقوله: "**ضخم مقلّدها، فعم مقيّدها**" وصف ليس في محِلّه من المدح؛ إذ ينبئ عن امتلائهما، والمدح إنما يكون بدِقّتهما، ولذا قال ابن رشيق: " وخطَّأَ – أي الأصمعي – أيضاً كعب بن زهير في قوله يصف راحلته: فعم مقيدها ضخم مقلدها لأن النجائب دقيقات المذابح" [2].

رابعًا: اكتسبت نعوت كعب التأكيد من تكرارها بينما اكتسبت نعوت الأخطل التأكيد من وقوعها في التشبيه الذي عقده لناقته، ولا شك في أن التأكيد الحاصل من التشبيه أدخل في المدح، وأقوى في إلحاق المعاني بالناقة؛ لأنه تأكيد نابع من إلحاقها بما هو مُسلَّم بتحقُّق وجه الشبه وثبوته فيه.

ثانيًا: دلالة الوزن الصرفي

اتكأ كل واحد من الشاعرين على مجموعة من الصيغ التي تخدم تجربته الشعرية من ناحية، وتتلاءم مع السياق، ويطلبها المقام من ناحية أخرى، ومن ثم فقد اختلفت الصيغ التي اعتمد عليها كل منهما اختلافا نابعا من اختلاف الفكرة التي سعى كل منهما لتأكيدها.

فكعب بن زهير وظّف مفرداته وصيغه في أداء المعنى الذي يريده، وهو: عتق الناقة وسرعتها وقوتها على السير، فنرأيناه يستعين ببعض صيغ المبالغة في تصوير هذا المعنى وتقريره، وإبراز قوة انفعاله به، وصدق شعوره نحوه.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٣هـ). تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الثانية ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م. ٢/ ٥٠٨.

(٢) العمدة ٢/ ٢٤٨

استخدم كعب (فِعال) جمع (فعيل) ، و(فعيل) من صيغ المبالغة القياسية، وذلك في الوصف (العتاق) جمع (عتيق) ؛ ليؤكد على كرم أصل ناقته، وامتداد ذلك إليها من آبائها وجدودها الذين لم يخالطوا غيرهم من الإبل، وهو نفسه المعنى الذي أكّد عليه في قوله – بعد ذلك:

حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ ... وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ

واستخدم صيغة (مفاعيل) جمع (مفعال) ، وهي – أي (مفعال) – من صيغ المبالغة الخمسة القياسية أيضًا، وقد وقع ذلك في وصفين: الأول: **(المراسيل)** جمع (مرسال) ؛ ليؤكد به ويقرر من خلاله بلوغها أقصى درجات السرعة في السير، ومن ثم بلوغها به أرض محبوبته – على بعدها – في أقصر وقت. والثاني: **(مثاكيل)** جمع (مِثْكال) ، وهي المرأة الكثيرة الفقد لأولادها، وقد ذكره في معرض حديثه عن تلك المرأة الثكلى التي شبه حركة يدي ناقته بحركة يديها في اللطم على وجهها، وذلك في قوله:

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إذا عَرِقَتْ ... وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ
أَوبُ يَدَيْ فاقِدٍ شمطاءَ مِعْوَلَةٍ ... قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ

وقد أراد بوصف هؤلاء النسوة – اللاتي جاوبنها باللطم – بكثرة ثكلهن أن يدل على شدة لطمهن لعظيم فجعهن، وازديادها في اللطم لرؤيتها لطمهن، وانعكاس ذلك على سرعة يدي ناقته. ويلاحظ استعماله صيغة مبالغة أخرى في البيت الثاني، وهي (مِفعَل) في قوله: " **مِعْوَلَةٍ**" وهي صيغة سماعية، ومعناها: كثيرة العويل، وهو البكاء، وقد قصد من إيرادها – أيضًا– الدلالة على عظيم حزنها لفقد ولدها.

وصيغة المبالغة (فعّال) كان لها نصيب من مفردات كعب حيث استعملها في الوصفين **(نضّاخة الذفرى)** ، **(نوّاحة)** ، فأما الوصف الأول فقد كانت تلك الصيغة وسيلته إلى تصوير غزارة عرقها، وشدة اندفاعه منها، وفي هذا – أيضًا – دليل على شدة سيرها، وسرعة خطوها.

وأما الوصف الثاني **(نوّاحة)** فقد ذكره في أوصاف تلك المرأة الثكلى التي سبقت الإشارة إليها، وقد أراد بورود الوصف على تلك الصيغة: الدلالة على كثرة نوحها على ولدها الفقيد، وشدة حزنها عليه، وهو ما يخدم صورته الشعرية التي رسمها لناقته – على النحو الذي سيأتي تفصيله في المحور الثالث إن شاء الله.

ويجد كعب بن زهير في زيادة مبنى الفعل مُبتغاه في تحقيق الزيادة في المعنى فلا يتردد في الاستعانة بالصيغة المزيدة، كما في استعماله صيغة (تفعّل) في الدلالة على اشتداد الحر وقت الهاجرة، وذلك في موضعين:

الأول: قوله: **تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرِدٍ لَهَقٍ ... إِذَا تَوَقَّدَتْ الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ**

فقد استخدم الصيغة في الفعل **(توقَّدت)** ؛ ليفيد حدوث التوقُّد – وهو مجازي هنا كما سيأتي – مرة بعد مرة[(١)] ، وازدياده في الزمن الماضي، وفي هذا دلالة على اشتداد الحر وقت سير ناقته، وليس ذلك فحسب، بل زاد الأمرة وعورة وشدة أن هذه الأرض التي تطأها قدماها في ذلك الوقت ليست أرضًا ممهدة مذللة للسير عليها، وإنما هي عبارة عن **(الحزان والميل)** ، وهي الأمكنة الصلبة والرمال المنعقدة الضخمة التي تختزن حرارة الشمس.

والثاني: قوله: **كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إذا عَرِقَتْ ... وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ**

فالفعل **(تلفَّع)** هنا مستعار – كما سيأتي – لانتشار السراب وكثرته، وذلك لا يكون إلا عند اشتداد حرارة الشمس، وصيغة الفعل هنا معناها: الاتخاذ [(٢)]، والمراد أن القور – وهي صغار الجبال – قد اتخذت من العساقيل – وهي السراب – لفاعًا أي: لثامًا محيطًا بها.

---

(١) وهو أحد معاني الصيغة. يُنظر : دروس التصريف. القسم الأول : في المقدمات وتصريف الأفعال . تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. ص ٧٨.

(٢) وهو أحد معاني الصيغة. يُنظر : السابق نفسه.

واستعمال الشاعر لتلك الصيغة في هذين الموضعين يصبُّ في خدمة المعنى الذي يريده، ويؤكد الفكرة التي يسعى لإثباتها، وهي: قوة ناقته، وقدرتها على السير في أشد الأزمنة وأصعب الأمكنة؛ إذ لا يقوى على السير وسط هذه الظروف (مسافة بعيدة، أرض وعرة صلبة، وقت شديد الحر) إلا ناقة فريدة في قوتها وصلابتها وشدتها.

وأما **الأخطل** فقد فرضت عليه طبيعة المقام الذي يُصوّر فيه ناقته بالحمار الوحشي مع أُتُنه أن يسعى لإبراز قوامته عليها وسوقه لها وتدبيره أمورها، وبيان انصياعها التام له وامتثالها لأوامره؛ فلذا رأيناه يلجأ أحيانًا إلى استعمال صيغة الفعل (أَفْعَل) المبدوء بهمزة التعدية، كما في مادة الفعل **(ورد)** التي استخدمها في المواضع الثلاث **(أبطن الغيل يوردها ؟ ، ثم أوردها ، أوردها منهلًا)** ، فالصيغة الأولى **(يوردها)** الواقعة في أسلوب الاستفهام تُبرزه في صورة المتأمِّل المتفكّر في اتخاذ القرار السليم الذي يضمن لها الشرب والسلامة، والصيغتان الأخريان تبرزانه في صورة يكسوها رداء من الشهامة وحماية الذّمار حيث حقّق لها الشرب حين حُرِمَهُ غيرها.

وأحيانًا أخرى يستعمل صيغة الفعل المسند إلى ضميره متصلًا به ضمير الإناث، وهذا ما نلمحه في الأفعال: **(أسمى بهن، هاجهن، يحدوهن، أضرّ بها)** ، ليدل بذلك على قوة تأثيره فيها من ناحية، وتمام انقيادها له من ناحية أخرى.

بيد أن ثمة ظاهرة تكاد تكون سمة غالبة، وخصيصة بارزة من خصائص أسلوب الأخطل في وصف ناقته، وهي استعماله صيغة اسم المفعول، ووقوعها مسندًا، وهو ما ندر وقوعه عند كعب حيث لم نره يستعمل هذه الصيغة إلا في ثلاثة مواضع **(مجهول، مفتول، مملول)** ، وأما الأخطل فقد جاءت عنده في ثلاثة عشر موضعًا، هي "**مفرّجة، مفتول، مرضوخ، ومنجول، مشغول، مملول، معدول، مفلول، مرمَّل، معلول، مشكول، مقطوع، موصول**".

وقد تعددت دلالات اسم المفعول عند الأخطل، فتارة يستخدمه ليدل على أن الوصف المذكور ثابت حقيقة في ناقته جبلها الله عليه من غير حول منها ولا قوة، كما في الوصف **(مُفرّجَة)**، والوصف **(مفتول)** في قوله: "**مِرفَقُها عَن ضُلوعِ الزَورِ مَفتولُ**"، والوصفان من محاسن الإبل، ودلائل عتقها، وتقدّم بيان ما في اشتقاق اسم المفعول **(مُفرّجَة)** من الفعل المضعّف (فرّج) من دلالة على كونها بيّنة الفرج أي شديدة بُعد مرفقيها من إبطيها، وما في ذلك من المبالغة في مدحها، ووصفها بالكرم . وقد يستخدمها ليدل على أن الوصف المذكور مجبول عليه غيرها، إلا أن ذكره خلال وصفها يزيد في حسنها، كما في الوصف **(معدول)** في قوله يصف ماء البحر الذي أورده حمار الوحش أتنه: " **وَلَيسَ ماءٌ بِشُربِ البَحرِ مَعدولُ**" أي ليس الشأن ماء مُسَاوَى بماء البحر، ولعله قصد بالبحر هنا: النهر؛ لأن وصفه – بعد ذلك– بقوله: "**زرقًا شرائعه، بارد، عذب**" ، وفي التعبير باسم المفعول **(معدول)** دلالة على ثبوت هذا الوصف لماء النهر بأصل خلقته التي خلقه الله عليها، وفي ذلك إشارة إلى حسن تدبير حمار الوحش؛ إذ أوردها ماءً لا يُساوى في العذوبة والصفاء والبرودة، كما أنه يخلع على ناقة الشاعر التي شبهها بحمار الوحش صفات الحِنكة وحسن التصرُّف، والقدرة على النزول بالشاعر في خير البقاع، وأخصب الأمكنة.

كذلك نراه يستعمل صيغة اسم المفعول؛ ليفيد كمال شهامة ناقته، ولزومه لها في المحن، كما في الوصف **(مَشكولُ)** من قوله يصف حال حمار الوحش – الذي شبهها به – مع أتنه إثر رؤية الصياد: " **كَأَنَّهُ في تَواليهِنَّ مَشكولُ**" أي أنه للزومه إياهن في تلك المحنة صار كأنه مقيَّد خلفهن، لا يتقدمهن ولا يتركهن هاربًا، فهو مقيَّدٌ، قيّدته أُتنه، وهي صورة رائعة تجسّد إخلاصه وشهامته.

إلا أن الغالب عليه أن يستعمل هذه الصيغة ليدل على قوة تأثير ناقته في عوامل الطبيعة حولها، كما في قوله: **تَسمو كَأَنَّ شَراراً بَينَ أَذرُعِها**

مِن ناسِفِ المَروِ مَرضوخٌ وَمَنجولُ يصف الحجارة التي تذريها أثناء عدوها بأن منها **(مرضوخ)** أي مكسور، ومنها **(منجول)** أي مزجول ومدفوع بقدميها، وفي ذلك دلالة على قوة حوافرها، وشدة وطئها الأرض وفرط سرعتها.

أو يستعملها ليفيد قوة تأثير حمار الوحش في عوامل الطبيعة أو شدة تَأَثُّرُهُ بها؛ لينقل ذلك المعنى إلى ناقته، فمن الأول قوله: **يَتبَعُهُ مِثلُ هُدّابِ المُلاءِ لَهُ مِنها أَعاصيرُ مَقطوعٌ وَمَوصولُ** يصف أعاصير الرمال المكونة من الغبار المثار إثر عدوه بأتنه بأن منها **(مقطوع)** ، ومنها **(موصول)** ، وفيه دلالة على شدة عدوه وبلوغ سرعته الدرجة التي كوّنت بها تلك الأعاصير الرملية التي تنقطع وتتصل، وهذا معنى أراده الشاعر في ناقته من خلال تشبيهها بهذا الحمار الوحشي.

ومن الثاني قوله: " **كَأَنَّ ما مَسَّ مِنهُ الشَمسُ مَملولُ**" شبه ما أصابته الشمس من حمار الوحش بالخبز المعمول بالملة، وهي الجمر أو الرماد الحار؛ ليدل على قوة تأثره بحرارة الشمس الشديدة، وقوله: "**سُنبُكُهُ مِن رُضاضِ المَروِ مَفلولُ**" الذي دلّ به على انكسار حافره إثر اندفاعه منحدرًا من أعلى المرتفع إلى أسفله بسبب ما تكسّر وتفلّق من الحجارة، وفي الجملتين دلالة على أن رحلته لم تخل من الأذى والألم، ولكنه على الرغم من ذلك تحمّل وتصبّر من أجل أتنه كما دلت عليه الأبيات بعد ذلك، وهذا المعنى هو ما أراده الشاعر في ناقته: أن تتحمّل عنه آلام الرحلة ومتاعبها ولا تحمِّله همًّا إلى همّه.

وهكذا نرى الأخطل يرسم لناقته صورة مختلفة تمام الاختلاف عن الصورة التي رسمها كعب لناقته، فبينما ركّز كعب على إبراز معاني العتق والقوة والسرعة في ناقته، والتأكيد عليها باختياره الصيغ المناسبة لذلك، كان الأخطل يركّز على معان أخرى تتمثل في القوامة والشهامة والحماية وحسن التدبير مؤثرًا في ذلك ما يناسب تلك المعاني من الصيغ، فلا غرو إذًا في اختلاف الأوزان الصرفية المختارة عند الشاعرين؛ لأن هذا الاختلاف نابع من اختلاف تجربة كلٍّ منهما، وتباين المعاني التي أرادها كلٌّ في ناقته؛ لتباين الهدف والمهمة المنوطة بها ناقة كلٍّ منهما.

ثالثًا: دلالة النعت

عمد كل واحد من الشاعرين إلى تقييد مفرداته – أحيانًا – لتحقيق نوع من الفائدة التي لها أثرها في زيادة المعنى وتقرير الفكرة وتأكيدها.

وكان الغالب عليهما التقييد بالنعت، وكان **لكعب بن زهير** النصيب الأكبر في ذلك كنتيجة طبيعية لطول أبياته على أبيات الأخطل.

وأول النعوت عند كعب قوله في البيت الأول:

أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لَا يُبَلِّغُهَا ... إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ

فالألفاظ الثلاثة **(العتاق ، النجيبات ، المراسيل)** هي في الحقيقة نعوت لمنعوت محذوف، أي: النوق العتاق النجيبات المراسيل، وقد تقدّم بيان معناها ودلالاتها في المدح، وأن وصفها بهذه الصفات مجتمعة دليل كونها فريدة في نوعها وجنسها حيث جمعت بين كرم الأصل والقوة والسرعة، وهي صفات قلّما اجتمعت في ناقة.

ثم نراه يصف عينيها بقوله: " **تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرِدٍ لَهَقٍ**"، والمفرد: ثور الوحش الذي تفرّد في الصحراء، " شبه عينيها بعينيه؛ لأنه أَلِف البراري وخبرها، ولكونه من أحدّ الوحوش نظرًا" [1]، واللهق: الأبيض، وتقييده به؛ لأنه أفضل أنواعه.

ويصف جلدها بالنعومة والملاسة فيقول:

وَجِلْدُهَا مِنْ أُطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ ... طِلْحٌ بِضَاحِيَةِ الْمَتْنَيْنِ مَهْزُولُ

فيذكر أن من شدة نعومته أن **(الطلح)** – وهو: دويبة تلزق بالدابة وتتغذى على دمها – لا يترك فيه أثرًا، ونعته بـ **(مهزول)** ؛ لأنه إذا كان مهزولًا – أهزله الجوع – اشتدت رغبته في البقاء، وحرصه على الحياة، فاستعمل كامل قوته في امتصاص دمها، ومع ذلك فإنه لا يؤثر فيها شيئًا،

(١) السيرة لابن هشام ص ٥٠٦.

وفي هذا دلالة على كون جلدها في غاية النعومة والملاسة، وهذا من محاسن الإبل، وهذا المعنى ذاته هو ما أكّد عليه بقوله – بعد ذلك:

يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ ... مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ

وفيه قيّد **(لبان وأقراب)** بالنعت **(زهاليل)** ، والزهاليل: المُلس جمع زهلول.

ونراه يقيد عتقها بالنعت **(مبين)** في قوله: "**فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا ... عِتْقٌ مُبِينٌ**" ، وفيه دلالة على وضوح عتقها وعدم خفائه؛ إذ "يظهر للعارف بالإبل كرم ظاهر في أذنيها لحسنهما وطولهما" [1] .

ويقول في وصف قوائمها:

تَهوِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لَاحِقَــةٌ ... ذَوَابِلٍ وَقْعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ

سُمْرِ الْعُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الْحَصَى زِيَمًا ... لَمْ يَقِهِنَّ رُءُوسَ الْأُكْمِ تَنْعِيلُ

وصف اليسرات – وهي القوائم – بـ **(ذوابل)** : جمع ذابل، وهو اليابس، وأراد: أنها قليلة اللحم، "وإذا كانت قليلة اللحم لم تكن رهلة ولا مسترخية" [2] ، وفي هذا دليل على خفتها وسرعتها. ثم وصفها بـ **(سُمْرِ الْعُجَايَاتِ)** ، والعجايات: جمع عجاية، وهي عصب قوائم الإبل، ووصفها بالسُّمر لم يُرد به اللون، وإنما أراد تشبيهها بالرماح السُمر في صلابتها وقوتها.

وقال يصف سرعة حركة ذراعيها وقت السير:

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إذا عَرِقَتْ ... وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ

أَوبُ يَدَيْ فاقِدٍ شمطاءَ مُعْوَلَةٍ ... قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ

نَوَّاحَةٍ رِخْوَةِ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا ... لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ

---

(١) السيرة لابن هشام ص ٥٠٨

(٢) شرح قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) في مدح رسول الله – ﷺ – لابن حجة الحموي. تحقيق: د/ علي حسين البواب. ط: مكتبة المعارف. الرياض. ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م. ص٤٧ .

فشبه رجع ذراعيها في السير برجع ذراعي المرأة الثكلى في اللطم جزعًا على فقيدها، وقوله: " **فاقد**" نعت قام مقام المنعوت أي: امرأة فاقد، وفي حذف المنعوت دلالة على شدة الملازمة، وقوة التلاحم والاتصال بين المنعوت ونعوته الآتية.

وقد قيّد تلك المرأة بعدة نعوت مفردة **(فاقد، شمطاء، معولة، قامت فجاوبها نكد مثاكيل، نواحة، رخوة الضبعين)** .

و**(الفاقد)**: اسم فاعل من فقد، والمقصود هنا: المرأة التي فقدت ولدها، و**(الشمطاء)**: المرأة التي خالط بياضُ شعرها سوادَه، وفي التقييد به دلالة على شدة جزعها على ولدها الذي فقدته؛ لانقطاع الولد عنها لكبر سنها، ويترتب على عظيم فجعها، وشدة جزعها سرعة تتابع لطماتها على وجهها، الأمر الذي يعكس بدوره سرعة حركة يدي ناقته في السير. ومعنى قوله "**معولة**": كثيرة رفع صوتها بالبكاء، وهذا يؤكد – أيضًا – شدة حزنها.

وأما قوله: "**قامت فجاوبها نكد مثاكيل**" فهو نعت ثالث في المشبه به إلا أنه جملة، سيأتي في موضعه إن شاء الله ، والذي يعنينا منه هنا هو النعتان **(نُكْد مثاكيل)** ، وهما في الحقيقة نعتان لمنعوت محذوف، والتقدير: نساء نُكد مثاكيل، وفي حذفه ونيابة النعتين عنه دلالة على التلاحم الشديد، والاتصال الوثيق بين الموصوف وصفتيه، والنُكْد: جمع نكداء، والمراد به هنا: التي لا يعيش لها ولد، والمثاكيل: جمع مِثْكَال ، وهي الكثيرة الثكل، وفي هذا القيد دلالة على شدة حزنهن لكثرة فقدهن أولادهن، مما يترتب عليه ثلاثة أمور:

الأول: شدة لطمهن على وجوههن ، الثاني: اشتداد لطم تلك الشمطاء، وازدياد سرعة يديها في اللطم؛ " لرؤية حزن غيرها، وشدة لطمهن"[1]، الثالث – وهو مراد الشاعر – : انعكاس تلك الشدة في السرعة

(١) السيرة لابن هشام ص ٥٠٩ .

على حركة يدي الناقة في السير. ويؤكد على شدة حزنها بالنعت الرابع **(نوّاحة)** أي: كثيرة النوح على ميتها، والنعت الخامس **(رخوة الضبعين)** له دلالته في التشبيه أيضًا؛ لأنها إذا كانت مسترخية العضدين كان ذلك أبعث على اشتداد سرعة يديها في اللطم.

ولا شك في أن تعدد النعوت التي ذكرها كعب في المشبه به له أثر كبير في تصوير شدة سرعة يدي ناقته والتأكيد عليها، ولا سيما وقد ترك الشاعر العطف بينها؛ ليدل على قوة تلاحم هذه الصفات واتصالها.

وأما التقييد بالنعت عند **الأخطل** فقد جاء في أربعة مواضع كان له فيها أكبر الأثر في تعميق المعنى وإيضاح الفكرة.

فنراه يصور الماء الذي أورده حماره الوحشيّ أُتنَه بقوله: "**أوردها منهلًا زرقًا شرائعه**" ، "**يشربن من بارد عذب**" ، فيصف المنهل بـ **(زرقًا شرائعه)** ؛ ليبين كثرة موارده وصفاءها، وفي هذا دلالة على حسن اختياره لأُتنه، وأنه لا يرضى لها إلا أصفى الموارد وأوفرها ماء، وفي وصف الماء بأنه **(بارد عذب)** تأكيد على هذه الدلالة، وتقرير لذلك المعنى.

وكان لهذين الوصفين أثرهما في جانب المشبه (ناقة الشاعر) إذ كساها كل منهما حلة من حسن التدبير، والقدرة على النزول بالشاعر في خير البقاع وأفضل الأمكنة، وعكسا ثقة الشاعر البالغة في ناقته، وقوة اعتماده عليها في إصلاح شؤون رحلته.

ثم نراه يصف شربها: **نالَت قَليلًا وَخاضَت ثُمَّ أَفزَعَها ... مُرَمَّلٌ مِن دِماءِ الوَحشِ مَعلولُ**

وقد أراد الشاعر في هذا البيت أن يتوغل في الحكاية، ويصور خطرًا آخر أحاط بأتن الحمار الوحشي، فيذكر أنها لم تلبث أن ترتوي وتأخذ من الماء كفايتها، فقد **(نالَت قَليلاً)** أي: نالت من الماء القدر الذي يوصف بالقلة؛ لأن هنالك صائدًا ماهرًا لم يعطها الفرصة للارتواء، وإنما أفزعها بسهم ليس كغيره من السهام، بل هو سهم موسوم بأنه **(مُرَمَّلٌ مِن دِماءِ الوَحشِ مَعلولُ)** ،

ومعنى **(مُرَمّل)**: ملطّخ بالدماء، وفي بناء الوصف من الفعل المضعّف العين دلالة على كثرة تلطُّخ هذا السهم بالدماء لكثرة فرائسه، ومعنى **(معلول)** أي مسقيٌ بالدماء مرة بعد مرة منها، وفي هذين الوصفين دلالة على مهارة هذا الصائد الذي لا تخطئ سهامه هدفها من ناحية، وشدة الخطورة التي أحاطت بأتن الحمار الوحشي من ناحية أخرى؛ ليترقى من ذلك إلى وصف حمار الوحش بفرط الشجاعة وحسن الاعتماد عليه والاطمئنان إليه حيث نجا بها من ذلك الخطر، وهو في تلك المعاني كلها يقصد ناقته التي شبهها بهذا الحمار الوحشي، فهي ملجؤه الذي يطمئن إليه في رحلته هذه ولا يخشى ورود المهالك ما دامت ترافقه.

ومما سبق يتضح كثرة نعوت كعب المفردة، وقلة مفردات الأخطل الواقعة نعتًا. فالمتأمل فيما سبق يرى كثرة المفردات الواقعة نعتًا في أبيات كعب حتى بلغ عددها خمسة عشر قيدًا، وقد سيقت للتأكيد على أحد معنيين: شدة السرعة، العتق، وجاء أغلبها لتأكيد المعنى الأول، ولا غرو في ذلك **فكعب** – كما تقدّم – يريد أن يصل في أقرب وقت إلى محبوبته في تلك الأرض البعيدة، وهذا لا يتحقق إلا بناقة شديدة السرعة، ولذا أكّد على هذا المعنى في نعوتها المفردة، ولعله رمز بذلك إلى إرادته الوصول إلى هدفه، وتحقيق غايته من عفو رسول الله – ﷺ – عنه على وجه السرعة. بيد أن سببًا آخر لكثرة نعوته ووفرتها، وهو تعدُّد مفرداته وألفاظه، واحتياج أغلبها إلى ما يضفي على الوصف بها دقة، وعلى المدح مبالغة وحسنًا، وليس أدلّ على ذلك من النعت.

وأما **الأخطل** فقد قلّت نعوته المفردة، ولا ضير في ذلك، فمسلك الحكاية والقصة الذي سلكه في أبياته هو الذي فرض عليه إيثار الجمل ولا سيما الفعلية التي تصوّر حركة الأحداث، وتجسِّد تتابعها، وليس كذلك الحال في أبيات كعب التي سخّرها لمجرد الوصف، ولا شك في أن المفردات أو النعوت المفردة هي أولى الطرق بصياغة الوصف المجرد من الحكاية.

وقد اتفق الشاعران في حذف الموصوف – في الغالب – وإقامة صفته – أو صفاته – مقامه، وهذا أبلغ في المدح، وأوفى بأداء المعنى؛ لما تقدّم ذكره من أن ذلك يبرز شدة الاتصال والتلاحم بين الموصوف وصفته، حتى لكأن أحدهما هو الآخر.

المحور الثاني
الوصف بالجملة

ويشتمل على:

أولًا: الجملة المؤَسِّسَة.

ثانيًا: الجملة المقيِّدة.

يلاحظ المتأمل في جمل الشاعرين التي وصفا فيها الناقة أن منها ما ينشئ خبرًا ويؤسس معنى جديدًا، ويفيد إفادة جديدة ابتداءً، ومنها ما يأتي قيدًا للمسند أو المسند إليه، ومن هنا انقسم الكلام في هذا المحور إلى فرعين، هما:

أولًا: الجملة المؤسِّسة.

ثانيًا: الجملة المقيّدة.

أولًا: الجملة المؤَسِّسّة

غلبت الخبرية على جمل الشاعرين المؤسسة التي تنشئ معنى جديدًا، ولم نر صدى للجمل الإنشائية فيها إلا في موضع واحد عند كعب، وموضعين عند الأخطل.

فأما موضع كعب فقوله: **وَقَالَ لِلْقَوْمِ حاديهم وَقد جعلت ... وُرْقُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا قِيلُوا** وفيه استعمل فعل الأمر **(قيلوا)**؛ للدلالة على بلوغ الشمس أقصى غايتها في ارتفاع درجة الحرارة بذكر الدليل على ذلك، وهو أن الحادي الذي من شأنه أن يُنشط القوم، ويسوق إبلهم، يتخلى عن دوره تمامًا، بل يقوم بدور مناقض لما هو منوط به إذ يأمرهم أمرًا حقيقيًّا بالقيلولة بدلًا من أن يحثُّهم على السير، وذلك لعِظَم ما يجد من شدة حرارة الشمس.

وأما موضعا الأخطل فأولهما قوله مستهلًّا أبياته في وصف الناقة:

فَّسَلّها بِأَمونِ اللَيلِ ناجِيَةٍ ... فيها هِبابٌ إِذا كَلَّ المَراسيلُ

افتتح البيت بفعل الأمر **(فسلّها)** ، والذي يدلُّنا السياق على كونه أمرًا حقيقيًّا، فإن الشاعر لما رأى من نفسه ضعفًا وهوانًا وحزنًا شديدًا على فراق محبوبته، لجأ إلى أسلوب التجريد، فجرّد من نفسه إنسانًا آخر يخاطبه، ويأمره بالتسلي عن ذكراها بالارتحال على ظهر ناقة قوية سريعة في غاية النشاط والحركة، وقد أبان هذا التجريد عن تمكُّن مشاعر الأسى والحزن من نفس الشاعر، وبلوغهما منه ذلك الحدّ البعيد الذي جعله يجرّد من نفسه إنسانًا آخر يحُثُّه

علـى الارتحـال. وثانيهمـا: قولـه: **يَقسِـمُ أَمـرًا أَبَطـنَ الغَيـلِ يورِدُهـا أَم بَحرَ عانَةَ إِذ نَشفَ البَراغيلُ؟**

وفيه يبعث الشاعر في نفس المتلقي مشاعر الحيرة والتفكُّر التي سيطرت على وجدان حمار الوحش، ويصورها من خلال الاستفهام الوارد في البيت.

وقد تنوعت الجمل المؤسسة عند **كعب** ما بين جمل اسمية وجمل فعلية، وتقاربتا في الاستعمال، فلم تغلب إحداهما الأخرى ، وكان لكل منهما مقامها الذي طلبها، وموقفها الذي استدعاها.

فنراه يجنح إلى الجمل الاسمية إذا أراد الدلالة على ثبوت الوصف الذي يتحدث عنه في ناقته، ولزومه إياها، وذلك يكون في الغالب إذا كان الوصف جبليًّا فطرها الله عليه بأصل خِلقتها، وذلك نحو قوله: "**أَخُوهَا أَبُوهَا، عَمُّهَا خَالُهَا، فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ، فِي دَفِّهَا سَعَةٌ ، وَجِلْدُهَا مِنْ أُطُومٍ، مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ، فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا عِتْقٌ مُبِينٌ، وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ**".

فلا شك في أن هذه الصفات التي ذكرها كعب هي صفات متأصلة في ناقته، لا تفارقها ولا تنفكّ عنها، وهي من براهين عتق الناقة، ودلائل نجابتها، وهذا ما أراد الشاعر تأكيده حين دلّ عليه بالجمل الاسمية المفيدة للثبوت والدوام.

ومن الملاحظ أن أغلب هذه الجمل قد سلك كعب في بنائها طريقًا يكاد يكون ظاهرة غالبة وخصيصة بارزة في جمله الاسمية، وهي تقديم المسند المكوّن من (في) الظرفية ومجرورها على المسند إليه؛ حيث وقع ذلك في أربعة جمل منها، كما وقع في جملة القيد **(فِيْهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ)** التي وقعت نعتًا للمفرد **(عذافرة)** – كما سيأتي.

ففي هذه المواضع الخمسة كان التعبير بـ **(في)** الظرفية دليلًا واضحًا على بلوغ هذه الناقة الغاية في الصفات المذكورة؛ بجعلها – أي الناقة – محِلًّا ووعاءً لتلك الصفات، تحيط بها فلا تخرج من حيّزها كما يحيط الوعاء

بما في داخله، كما كان لتقديم الجار والمجرور أثره في تأكيد المعنى والمبالغة فيه حيث أفاد هذا التقديم قصر هذه الصفات على تلك الناقة – ناقة الشاعر – دون غيرها من النوق المراسيل قصرًا إضافيًّا ، مما يوكِّد على تميُّز هذه الناقة في خِلقتها وحسن هيئتها، وتفرُّدها في قوتها وسرعتها وكلها صفات كرم وخلال نجابة.

وقد يكون الوصف مكتسبًا متجددًا، ولكن الشاعر يصدف عن التعبير عنه بالجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية؛ ادّعاءً منه أنه ملازم لها ثابت فيها كالخِلقة، وذلك إذا كان الوصف يتناول معنى من معاني قوتها وصلابتها، وأراد الشاعر أن يبالغ في تمكُّنه من ناقته ورسوخه فيها كدليل على عتقها ونجابتها، وذلك من نحو قوله: " **عُرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ** " ومعناه: أنها قويّة على السير في ذلك الطريق الدارس المعالم الذي انمحت علاماته التي يهتدي بها الناس، فليس معنى هذا أنها لا تسير إلا في مثل ذلك الطريق الدارس، بل هي تسير فيه وفي غيره من باب أولى، ولكن الشاعر لما أراد المبالغة في معنى قوتها أثبت لها ذلك بالجملة الاسمية التي تفيد الثبوت والدوام ليوحي بأن ذلك عادتها ودأبها الذي لا تنفكّ عنه.

وأما الجملة الفعلية عند كعب بن زهير فأول ملامحها ما استهلّ به أبياته في وصف الناقة، وذلك قوله: "**أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ**" ، والذي أحسن به التخلُّص من الغزل إلى وصف الناقة، ومجيئ هذا الفعل ماضيًا يعكس لنا ما سيطر على وجدان الشاعر من مشاعر الأسى والحزن، وألم الفقد، ولوعة الفراق بما فيه من دلالة على تحقُّق بُعدها، وتأكُّد نزولها بتلك الأرض البعيدة.

ولم يكثر ورود الفعل الماضي في أبيات كعب كثرة ورود المضارع فيها؛ إذ رأى الشاعر في الفعل المضارع مجالًا خصبًا لتصوير تجربته الشعرية من انفعاله بحركة ناقته، وسرعتها، وقوة نشاطها بما تدل عليه صيغته من تجدُّد الفعل وحدوثه مرة بعد مرة، وحالًا بعد حال، وهذا آكد في الدلالة على استمرار حركتها وتجدد نشاطها.

وأول ما يبرز لنا من ذلك: استخدامه الجملة المبدوءة بالمضارع المنفي **(يُبَلِّغُهَا)** في موضعين: **(لَا يُبَلِّغُهَا إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتُ الْمَرَاسِيلُ ، وَلَنْ يُبَلِّغَهَا إِلَّا عُذَافِرَةٌ)** ، جاء فيهما القصر بالنفي والاستثناء، وكان الغرض منهما: التأكيد على انفراد ناقته بالقدرة على بلوغ تلك الأرض البعيدة، وتجدُّد تلك القدرة فيها كأنها ديدنٌ لها وعادة تخصّها دون غيرها من النوق.

ولعل طريق النفي والاستثناء يحمل في طياته إنكارًا واجهه الشاعر، مفاده أن الناقة لا تقوى على بلوغ مثل تلك الأرض البعيدة، وأن مثل تلك المهمة لا يقدر عليها إلا نوع عتيق من الأفراس السريعة العدو، فجاء القصر بهذا الطريق – خاصة – ليدفع إنكار المنكرين، ويؤكد على انفراد ناقته بالقدرة على أداء تلك المهمة على أكمل وجه؛ لانفرادها وتميُّزها عن غيرها من النوق بما اجتمع فيها من صفات الكرم والنجابة والسرعة المفرطة، ثم إن مجيء النفي في المرة الثانية بـ **(لن)** ليوحي باشتداد إنكارهم عليه، وكأنه لما رآهم لم ينتهوا عن تشكيكهم في قدرات ناقته بعد القصر الأول أتبع ذلك بقصر آخر أشدّ وأقوى، استخدم فيه (لن) دون (لا)؛ لأنهما وإن اشتركتا في نفي المستقبل إلا أن في (لن) تشديدًا وتأكيدًا [1] يكافئ تعنتهم وتماديهم في الإنكار على الشاعر. وليس بعيدًا أن يكون التأكيد هنا لمجرد الاهتمام بالخبر، إذ هو ينبئ عن قناعته الشديدة بقدرات ناقته، وثقته التامة فيها لا سيما وقد خلا السياق من ذكر تعرُّض الشاعر لإنكار مُنكر.

---

(١) ذهب الزمخشري في مفصله إلى أن (لن) لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل، وأكّد هذا المذهب صاحب الطراز إذ ذكر طرقًا ثلاثة تقوي ما ذكره الزمخشري. ينظر: المفصل في صنعة الإعراب لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ). تحقيق: د. علي بو ملحم. ط: مكتبة الهلال – بيروت. الأولى١٩٩٣م. ص٤٠٧، وينظر أيضًا: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ). ط: المكتبة العنصرية . بيروت. الأولى١٤٢٣هـ. ٢/ ١١١ وما بعدها.

وهكذا يمضي الشاعر في أبياته مؤثرًا الفعل المضارع الذي يجسد حركة ناقته، وأفعالها المتجددة، وهذا ما يراه القارئ في جمله ذات الفعل المضارع من نحو قوله: " **تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرِدٍ لَهَقٍ**" ، وقوله: " **يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ ... مِنْهَا لَبَانٌ** " ، وقوله: "**تَمُرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ**" ، وقوله: "**تَهوِي عَلَى يَسَرَاتٍ** " ، وقوله: "**تَفْرِى اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا**"، وغيرها من الأفعال المضارعة التي تلتقي جميعها حول تصوير عنصر الحركة، وإبراز هذه الناقة في صورة فريدة من سرعة السير، وفرط الحركة والنشاط تجعلها في تمام التأهُّل لتلك المهمة الصعبة التي أُنيطت بها.

والجملة الثالثة: **(يَتْرُكْنَ الْحَصَى زِيَمًا)** معناها: أن حركة قوائمها في الأرض تجعل الحصى متفرقًا ، وفي هذا دلالة على شدة وصلابة قوائمها، ثم شدة وطئهن الأرض.

وأما الجمل الفعلية ذات الفعل الماضي فقد ندر استعماله إياها كجملة مؤسّسة، فلم نر منها عنده إلا موضعين: الأول: قوله: "**وَقَالَ لِلْقَوْمِ حاديهم.. قيلوا**" الذي أربى به معنى اشتداد الحر المذكور في قوله قبله:

يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِدًا ... كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ

وقد استعمل في هذه الجملة **(وَقَالَ لِلْقَوْمِ حاديهم..)** فعل الأمر **(قيلوا)**؛ للدلالة على بلوغ حرارة الشمس أقصى غاية في ذلك الوقت الذي تسير فيه ناقته، بدليل عجز الحادي عن السير، وأمره من يقودهم بالقيلولة، وهذا ولا شك دليل قوتها، وشدة بُنيانها.

والموضع الثاني: جملة المضارع المجزوم بلم التي حولته وقلبت معناه من المضارعة إلى المُضي، وهي قوله: "**لَمْ يَقِهِنَّ رُءُوسَ الْأُكْمِ تَنْعِيلُ**"، والتي تحوي دلالة واضحة على تحقُّق قوة وصلابة خفافها، فلا تحتاج معها إلى تنعُّل يحميها شوك النباتات **(رُءُوسَ الْأُكْمِ)** ، وزاد ذلك المعنى اتساعًا أن قيّد هذه الجملة بالظرف **(يومًا ...)** ، أي أن عدم تنعلها إنما حدث في ذلك اليوم الذي تشتد حاجة أمثالها من النوق إلى التنعُّل فيه، حيث وصفه بقوله: **يَظَلُّ**

بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِدًا ... كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ وفي هذا النعت دلالة على شدة حرارة ذلك اليوم الذي تسير فيه ناقته، حتى إنه من شدة الحرّ تجد **(الحرباء)** – وهو "دويبة تستقبل الشمس وتدور معها حيث دارت **(مصطخدًا)** أي محترقًا كأن البارز للشمس منه في ذلك اليوم خبز معمول بالملة[1]. ، وإذا كانت الشمس هكذا حالها، وناقتنا تسير مسرعة معها بلا تنعُّل فهذا ولا شك دليل آخر على شدتها وصلابتها وقوتها، وهذا المعنى هو ما أراده الشاعر ودندن حوله غير مرة.

وأما الجمل عند **الأخطل** فقد تنوعت كذلك بين الاسمية والفعلية، ووقع أغلبها في وصفه للحمار الوحشيّ الذي شبّه به ناقته، واستطرد فيه حتى استغرق جلّ أبياته في وصف الناقة.

وقد غلبت الفعلية على جمل الأخطل، وهذه خصيصة طلبها مقام الحكاية، واستدعاها السياق القصصي الذي انتهجه الشاعر في تشبيهه ناقته بذلك الحمار الوحشي الذي خرج بأتنه إلى موضع الماء، وكان له معها من المواقف والمواجهات ما أسبغ على ناقة الشاعر من معاني الإخلاص وحسن الصحبة والقدرة على مواجهة المخاطر الكثير والكثير.

والمتأمل في جمل الأخطل الفعلية يجد غلبة المُضيّ على أفعاله؛ إذ بلغ عدد جمله الفعلية المبدوءة بالفعل الماضي سبع عشرة جملة، وقع أغلبها قيدًا، وسيأتي الحديث عنها في القسم التالي من هذا المحور إن شاء الله تعالى، وأما الفعل المضارع فلم يتجاوز نصيبه منها الثماني مواضع.

والماضي عند الأخطل جاء مُستَعمَلًا في أصل معناه من الدلالة على تحقُّق الوقوع في الزمن الماضي، ونرى وراء استعماله إياه دلالات ومعان تخدم تجربة الشاعر، وتنقل للمتلقي صدق انفعاله بها؛ إذ يراه تارة يستخدم الماضي ليصور كمال سيطرة هذا الحمار الوحشيّ على إناثه، وتمام انصياعها له،

---

(١) ينظر السيرة لابن هشام ص٥٠٩ ، وشرح ابن حجة ص ٤٨ .

وذلك كما في قوله: " **أَسمى بِهِنَّ، أَورَدَها، "فَهاجَهُنَّ، فَانصَعنَ كَالطَيرِ، أَضَرَّ بِها**" ، ولا يخفى ما أضفته هذه الجمل على المشبه (ناقة الشاعر) من معاني القوة، والتحكُّم التام في رحلة الشاعر، والسيطرة الكاملة عليها، فهي لا تتركه يحمل معها همّ طريق، أو يشغل فكره بالخلاص من المخاطر؛ لأنها تتولى كل ذلك بنفسها.

وتارة أخرى يستخدمه ليصوّر ما واجهه هذا الحمار الوحشيّ مع أُتنه من مخاطر وعقبات، وأغلب ذلك وقع في جمله المقيّدة – كما سيأتي في قوله: "**وَعزَّتــهُ الأَناصــيلُ، إذ هاجَــت مَراتِعُــهُ، إذ نَشــفَ البَراغيــلُ**"- ومن جمله المؤسِّسة التي صوّرت ذلك قوله: " **وَوارى الرامِيَ الغيلُ**"، وقوله: "**نالَت قَليلاً وَخاضَت ثُمَّ أَفزَعَها ...**" ، فالشاعر – في هذه الأفعال – يؤكد للمتلقي أن الرحلة لم تخلُ من المخاطر، وينقل إليه شيئًا من تلك المخاطر التي أحاطت بالمشبه به (الحمار الوحشيّ)، حتى إذا أتبع ذلك بذكر مواجهته إياها، وتغلُّبه عليها بعث ذلك فيه ما انطوى عليه وجدان الشاعر من مشاعر الثقة في المشبه (ناقته)، والاطمئنان إليها في مواجهة ما يعترض رحلته من مهالك.

والمضارع عند الأخطل جاء لاستحضار الصورة في ذهن المتلقي حتى كأنه يشاهدها أمامه، فيزداد انفعاله بها، وتتعمق لديه الفكرة، هذا فضلًا عن دلالته على تجدُّد الحدث واستمراره، وذلك ما نراه في قوله: "**تَسمو**" الذي يفيد أن هذا ديدنها الذي لا تنفكّ عنه حالًا بعد حال، وما وراء ذلك من الدلالة على قوتها، ورسم صورة لذلك في الذهن، وقوله: "**يَقسِمُ أَمرًا أَبطَنَ الغَيلِ يورِدُها..**" يوحي بحيرة حمار الوحش واستمراره في تدبير أمر الماء ويستحضر صورة ذلك في ذهن السامع، **وقوله:** "**يَحدو خِماصًا ، يَحدوهُنَّ ذو زَجَلٍ**" الذي يفيد سوقه لها مرة بعد مرة وحالًا بعد حال، وما لذلك من أثر في الدلالة على حسن الرعاية، وإخلاص الصحبة، وقوله: " **يَشْرَبْنَ مِن بارِدٍ عَذبٍ**" الذي يفيد تتابع شربهن لما لحق بهن من شدة عطش أنقذها من الهلاك به، وقوله: " **يَهجِمُها سَحَّ الشَآبيبِ شَدٌّ فيهِ تَعجيلُ**" الذي أفاد شدة انصباب العرق منها،

واستمراره؛ لشدتها في السير إثر سوقه إياها، وفيه معنى السرعة المفرطة، وقوله: " **يَتبَعُهُ مِثلُ هُدّابِ المُلاءِ** ....." الذي يدل على استمرار تكوُّن تلك الأعاصير الرملية خلفه إثر عدوه بأُتنه، ويستحضر صورتها أمام السامع، وفيه دليل آخر على سرعة العدو؛ لأن الغبار لا يكَوّن مثل هذه الأعاصير إلا مع الاشتداد في السير.

وكما راعى الأخطل فروق الصيغ وحدود الزمان في أفعاله، فوضع كلًّا في موضعه الذي يطلبه، ومقامه الذي يستدعيه، نراه أيضًا يراعي ما يطلبه السياق من دلالة على ثبوت الوصف ودوامه، فيؤثر الجملة الاسمية – أحيانًا – لما لها من خصوصية الدلالة على ذلك، إلا أنه لم يكثر من إيرادها؛ لما سبقت الإشارة إليه من أن سبيل القصّ والحكاية الذي سلكه قد فرض عليه إيثار الجمل الفعلية التي توحي بحركة الأحداث وتتابعها، وقد اقتصر استعماله للجملة الاسمية على موضع القيد إلا في ثلاثة مواضع جاءت الجملة الاسمية فيهما مؤسِّسة غير مقيِّدة، وذلك قوله: "**سُنبُكُهُ مِن رُضاضِ المَروِ مَفلولُ**"، وفيها وصف الأذى الذي لحقه خلال انحداره بأتنه من أعلى المرتفع إلى أسفله، فقد ثُلِم سُنبكه – وهو مقدم حافره – بسبب ما تكسَر من الحجارة البيضاء التي انحدر عليها، وفي هذه الجملة دلالة على سرعة انحداره من أعلى المرتفع إلى أسفله؛ إذ لا يُثلم حافره هكذا إلا مع سرعة انحدار، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يدلُّ على تحمُّله الأذى في سبيل توفير الماء لأُتنه الحوامل من ناحية أخرى، وكل هذا – ولا شك – يسهم في رسم لوحة لناقته مِذَادها الجَلَد والصبر والتحمُّل.

وقوله: "**لَه مِن وَقعِهِنَّ إذا عاقَبنَ تَخبيلُ**"، ومعناه: أنهن رُحن يجرين – عقب سوقه إياهن – جريًا على جري مما تسبب في جرحهن إياه خلال هذا الجري الهمجي، وفيها دلالة على شدة ما لحقه من أذى خلال سوقه إياها، مع مبالغة في بيان ذلك، عن طريق أسلوب التجريد: حيث جرّد من وقعها جرحًا

لـه، وكـأن وقـع حوافرها الـذي يصـيب الأرض قد تجرّد منـه وقـعٌ آخـر يصـيبه فيجرحه.

وقوله: "**لَهُ مِنها أَعاصيرُ مَقطوعٌ وَمَوصولُ**" الذي أثبت فيه للحمار الوحشيّ أعاصير من الغبار المثار خلفه الناتج عن سرعة عدوه، وفيه دليل على دوام سرعته واستمرارها وملازمتها إياه بذكر الدليل على ذلك (ملازمة هذه الأعاصير الرملية له) ، والتعبير عنه بالجملة الاسمية، ولا شكّ في أن المعنى المصحوب بالبينة والبرهان يكون آكد في النفس وأثبت في الذهن من غيره من المعاني التي لم يصاحبها الدليل، كما لا تخفى المبالغة الحاصلة من التجريد المذكور في الجملة،

حيث جرّد من الملاحف الرملية أعاصير مبالغة في بيان شدة التفاف هذا الغبار المثار حول نفسه كنتيجة لشدة العدو.

هذا، ويتبين للمتأمل فيما سبق أن التأكيد في جمل كعب قد وقع على معانٍ مغايرة لتلك المعاني التي انصبّ عليها التأكيد عند الأخطل، فبينما كان كعب يؤكّد في جُمَله على معاني العتق والقوة والسرعة في ناقته، كان الأخطل يسعى إلى تأكيد اتصافها بالنظر في الأمور، والقدرة على النجاة من المخاطر، يتجلى ذلك بوضوح في تشبيهها بـ **(واضح الأقراب)** الذي جعل الشعراء من ذكر رحلته بأتنه رمزًا لهذه المعاني.

والسبب في ذلك – كما تقدّم – ما أراده كلٌّ شاعرٍ من ناقته، فكعب أراد منها أن تبلّغها أرض محبوبته البعيدة في أقرب وقت، فأكّد على معاني العتق والسرعة والقوة في الجمل التي وصفها بها، وتلك المعاني هي نفسها التي سعى كعب لتأكيدها في مفرداته التي تقدّم الحديث عنها في المحور السابق؛ لأنها هي مقصوده من ناقته. وأما الأخطل فأراد منها أن ترحل به لتنسيه همّه وحزنه لفراق محبوبته، وهذا يتطلب أن تحمل عنه أعباء الرحلة، وأن تواجه هي مخاطرها؛ لكيلا تُحَمِّله همًّا فوق همّه، فلذا أكّد على تحقّق تعرّضها للمخاطر في جمله – كما رأينا– وأتبع كل خطر بذكر قدرتها على النجاة منه.

كذلك يتبيّن للمتأمِّل تفوُّق كعب على الأخطل في وصف سرعة الناقة، وذلك أن كعبًا وصف ناقته بالجملة الفعلية "**تهوي على يسرات**" ، ووصفها الأخطل بقوله: " **تسمو**" ، وهما وإن اتفقا في استعمال المضارع؛ لإفادة تجدُّد ذلك منها واستمراره خلال سيرها، وما وراء ذلك من الدلالة على فرط سرعتها، إلا أن مادة (هوي) التي آثرها كعب أقوى في الدلالة على ذلك المعنى من مادة (سمو) التي استعملها الأخطل؛ وذلك لما تفيده هذه المادة (هوي) في اللغة من معنى : السقوط من أعلى إلى أسفل، وكأن كعبًا أراد أن يبالغ في وصفها بالسرعة، فشبه سرعة خطوها في السير بسرعة سقوط الشيء من أعلى إلى أسفل، والتي لا تتجاوز لمح البصر، وهذا معنى لا نجده في مادة (سمو) التي تعني في اللغة :الارتفاع والعلو، وليس فيها إلا وصف ناقته بعلوها وارتفاعها في سيرها، وهذا وإن كان دليل سرعة إلا أنه لا يحمل مبالغة فيها كتلك التي يفيدها الجذر اللغوي (هوي).

وأيضًا قد يلاحظ المتأمّل قصورًا للأخطل في أداء بعض المعاني، من ذلك قوله: "**لَـهُ مِنها أَعاصيرُ مَقطوعٌ وَمَوصولُ**" الذي جعل فيه الأعاصير الرملية – المكونة من الغبار الثائر خلف حمار الوحش إثر عدوه – قسمين: مقطوع وموصول، ولو أنه جعلها موصولة كلها لكان أوفى بالغرض وأدخل في المدح؛ إذ إن انقطاع مثل هذه الأعاصير معناه توقّف سيره وعدوه، أو ضعف خطوته إلى الحد الذي انعدم معه إثارة الغبار، وهذا معنى يضعف من قوته على السير، وقدرته على مواصلته. إلا أن مزيدًا من التأمُّل والتفكُّر يجعلنا ندفع هذا عنه، وذلك أن ما ذكره الأخطل من انقطاع تلك الأعاصير الرملية تارة، واتصالها تارة أخرى هو الذي يتطابق مع مقتضى حال هذا الحمار في تبصُّر الأمور، وتعقُّلها، وحسن قيادته لأُتنه؛ إذ يعني أنه يتوقّف قليلًا ليستطلع الأجواء من حوله، فلرُبما نصب الصائد شركًا للإيقاع به وبأتنه.

ومن ذلك أيضًا ما يلاحظه المتأمّل من اختلاف الصورة التي رسمها الأخطل في حمار الوحش – الذي شبه ناقته به – في قوله: "**سُنبُكُهُ مِن رُضاضِ المَروِ مَفلولُ**" عن الصورة التي وصف بها ناقته في أول الأبيات في قوله:

تَسمو كَأَنَّ شَرارًا بَينَ أَذرُعِها ... مِن ناسِفِ المَروِ مَرضوخٌ وَمَنجولُ

فالجملة الأولى أظهرته ضعيفًا متأثِّرًا؛ حيث دلّت على تأثير الحجارة المنكسرة في سنبكه وثلمها إياه، والثانية أبرزتها شديدة مؤثّرة في غيرها؛ حيث دل البيت على أن تلك الناقة قوية الحوافر شديدة الوطء للحجارة تدفع بعضها بحوافرها، وتفلق البعض الآخر، وكان يلزمه أن يعزف عن ذكر ذلك في المشبه به؛ لأنه ذكر ضدّه في المشبه قبل ذلك.

ثانيًا: الجملة المقيّدة

من المعلوم أن الاقتصار على ذكر ركني الجملة (المسند والمسند إليه) لا يفيد المخاطب سوى إسناد الحكم للمسند إليه إسنادًا مُطلقًا، أما إذا أراد المتكلّم الزيادة على معنى الإسناد فإنه يعمد إلى تقييد أحدهما بقيد أو أكثر يحقِّق له ما أراد، " وذلك حيث يراد زيادة الفائدة وتقويتها عند السامع؛ لما هو معروف من أن الحكم كلما كثرت قيوده ازداد إيضاحًا وتخصيصًا، فتكون فائدته أتم وأكمل، ولو حُذف القيد لكان الكلام كذبًا أو غير مقصود، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [1]، فلو حُذف الحال وهو «لاعبين» لكان الكلام كذبًا، بدليل المشاهدة والواقع.

ونحو قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ [2]؛ إذ لو حُذف «يكاد» لفات الغرض المقصود، وهو إفادة المقاربة"[3] .

والتقييد يكون بالحال، والنعت، والشرط، والظرف، وغيرها، وقد كثرت الجمل الواقعة قيدًا عند الشاعرين، وتعددت أنواعها:

فأما كعب فقد جاء التقييد بالحال عنده في قوله :

---

(١) الأنبياء: ١٦.

(٢) النور: ٣٥.

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ) . ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي . ط: المكتبة العصرية، بيروت. ص ١٤١.

تَهوِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لَاهيةٌ ... ذَوَابِلٍ وَقْعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ

أراد أن هذه الناقة سريعة في السير بقوائمها، سريعة الرفع عن الأرض كأنها لا تمسّها إلا ذلك القدر القليل الذي يشبه تحلة القسم، فهي غاية في الإسراع في سيرها [١]. وفيه قيّد الفعل **(تهوي)** بالجملة الحالية الاسمية التي تفيد الثبوت والاستمرار **(وهي لاهية)** ، وفي هذا دلالة على عفوية سرعتها المعتادة، وعدم تعمُّدها الإسراع، فسرعتها حاصلة " من غير اكتراث ومبالاة، كأن ذلك سجية لها "[٢] ، وإذا كانت في غاية الإسراع وهي متلبّسة بتلك الحال فماذا لو أرادت الإسراع وتعمّدته؟!

ولما أراد كعب أن يصف اشتداد الحر وقت سيرها ترك التصريح بذلك إلى ما هو أقوى في تأكيد المعنى، وفي ثبوته في الذهن؛ إذ ذكر ثلاثة دلائل من الواقع يفيد كل منها هذا المعنى، وقد وقعت ثلاثتها في قوله:

يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِدًا ... كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُــولُ

وَقَالَ لِلْقَوْمِ حاديهم وَقد جعلت ... وُرْقُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا قِيلُوا

والذي يعنينا هنا هو تقييده الفعل (قال) الواقع في صدر البيت الثاني بالجملة الحالية **(وَقد جعلت وُرْقُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا** ، ومعناها: أن الجرادات الوُرْق صرن يحركن الحصى " بأرجلهن لقصد النزول بسبب الإعياء عن الطيران " [٣]، وقد أبرز هذا القيد معنى اشتداد الحر وقت سير ناقته، وزاده تأكيدًا وتحقيقًا استعمال صيغة الماضي، ودخول حرف التحقيق (قد) على جملة الحال الثانية.

ومثله قوله:

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إذا عَرِقَتْ ... وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ

---

(١) يُنظر: السيرة لابن هشام ص ٥٠٨ .

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق ص ٥٠٩ .

وفيه قيّد اسم كأن **(أوب ذراعيها)** بقيدين: الأول: الظرف **(إذا عرقت)** ، والثاني – وهو ما يعنينا هنا – : الجملة الحالية **(وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ)** ، وهي " من المقلوب ، أراد: وقد تلفعت القور بالعساقيل " [1] ، والمعنى: صار العساقيل (السراب) كاللثام المحيط بالقور (صغار الجبار) ، وفي هذه الجملة: أولًا: تأكيد لمعنى انتشار السراب، وقد نبع هذا التأكيد من صيغة (تفعّل) التي تفيد حدوث الفعل مرة بعد مرة في الزمن الماضي، وثانيًا: تأكيد لمعنى اشتداد الحر؛ إذ لا يكون السراب منتشرًا هكذا إلا مع اشتداد حرارة الشمس، وثالثًا: تحقيق لوقوعه بدلالة صيغة الماضي على ذلك.

ولا يخفى ما في هذين القيدين من الدلالة على قوة هذه الناقة وشدتها وقدرتها الفائقة لا على مجرد السير وقت الهاجرة بل على الإسراع فيه.

ومن تقييده بجملة النعت قوله: " **عُذَافِرَةٌ فِيْهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ**" حيث نعت المفرد **(عُذَافِرَةٌ)** بالجملة الاسمية **(فِيْهَا ...)** ، والإرقال والتبغيل ضربان من السير السريع، وقد ادعى الشاعر ثبوتهما فيها على الرغم من إعيائها وتعبها، وليس الإرقال والتبغيل وصفين ثابتين في هذه الناقة ولا في غيرها، ولكن الناقة – أي ناقة – يتجدد سيرها وتتغير سرعتها تبعًا لتغيُّر نشاطها ووفور حركتها، حتى إن العارفين بالإبل الذين صنفوا فيها قد أفردوا بابًا في مؤلَّفاتهم لضروب سيرها، وذكروا فيه ما يربو عن عشرين ضربًا من سير الإبل، ولكن شاعرنا أغفل ذلك، وأثبت لها بهذه الجملة الاسمية هذين الضربين من السير وكأنهما ملازمان لها لا يفارقانِها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد من مجرد الإثبات، بل إنه أكّد على اتصافها بهما، وبالغ في ثبوتهما بطريقة بنائه للجملة من تقديمه المسند المكوّن من (في) الظرفية ومجرورها

---

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ). تحقيق: عمر عبد السلام السلامي. ط: دار إحياء التراث العربي. بيروت. الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ٧/ ٣٧٦.

على المسند إليه، وما أفاده ذلك من قصر ذلك عليها دون غيرها من النوق المراسيل – كما سبق بيانه.

ومن تقييده بجملة النعت– أيضًا– قوله: " **وَجِلْدُهَا مِنْ أُطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ ... طِلْحٌ**" فوصف جلدها بأنه مخلوق من **(أطوم)** ، والأطوم: السلحفاة أو الزرافة، أراد: ملاسة جلدها، ونعومته كنعومة جلد السلحفاة أو الزرافة، ولم يكتف بهذا بل نعت هذا الأطوم بالجملة **(مَا يُؤَيِّسُهُ طِلْحٌ)** ؛ للدلالة على بلوغه الغاية في الملاسة والنعومة، حتى إن تلك الدويبة المهزولة **(طلح ... مهزول)** التي تتغذى على دم الناقة، وتبالغ في امتصاصه لا تترك أثرًا في جلدها؛ لشدة ملاسته ونعومته على الرغم من وقوع الوخز فيها وقت الضحى **(بضاحية المتنين)** ، وهو الوقت الذي تقوى فيه همة تلك الدويبة، وتكثر حركتها، ويشتد امتصاصها للدم، وهكذا أبانت تلك الجملة الواقعة نعتًا عن شدة الملاسة والنعومة، وأكّدت على ذلك بالدليل والبرهان العملي الملموس، فكان لها أثرها في تعميق المعنى، وتأكيد الفكرة في الذهن.

ومن تقييده بجملة النعت – أيضًا – قوله:

تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ ... فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوَّنْهُ الْأَحَالِيلُ

الشاهد في الشطر الثاني حيث قيد المجرور **(غارز)** – وهو ضرع الناقة – بالجملة **(لم تخونه الأحاليل)** أي: لم تنقصه مخارج اللبن، أراد : أنها لا تُحلب، وفي هذا القيد دلالة على قوتها، وقدرتها الدائبة على السير والإسراع؛ لأن الناقة إذا كانت " حائلًا لا تُحلب كان أقوى لها على السير" [(١)]. وعندما وصف كعب قوائمها جاء التقييد بجملة النعت في قوله:

تَهوِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لَاحِقَةٌ ... ذَوَابِلٍ وَقْعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ

الذي قيّد فيه اليسرات – وهي قوائمها بجملة **(وقعهن الأرض تحليل)** فمعناها: أن قوائمها لا تمسّ الأرض إلا وقتًا يسيرًا يشبه الـ **(تحليل)** ، وهو:

---

(١) شرح ابن حجة ص ٤٦.

مأخوذ من تحلة القسم، " أي قليل كما يحلف الإنسان على الشيء فيفعل منه اليسير يحلل به قسمه " (١)، ففي هذه الجملة دلالة واضحة على سرعة رفعها قدميها عن الأرض، ومن ثمّ وصفها ببلوغ الغاية في سرعة الخطو، وشدة العدو، بل والثبات على ذلك كأنه سجية وطبع لها بدلالة الجملة الاسمية على ذلك.

والتقييد بالشرط عند كعب مقصور على استعمال أداة الشرط (إذا) ، وذلك في ثلاثة مواضع: الأول: قوله: "**مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ**"، فالمعنى: أن ذفريها (خلف الأذنين منها) إذا عرِقا كان العرق نضخًا، أي مندفعًا منها فوّارًا كفوران الماء من ينبوعه، وفي هذا دلالة على اشتدادها في السير وإجهادها نفسها فيه؛ لأن كثرة التعرُّق لا تكون إلا مع الشدة في السير، ولهذا كرّر استعماله لهذا الظرف مرة أخرى للتأكيد على المعنى ذاته حين وصف حركة ذراعيها في قوله: "**كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إذا عَرِقَتْ**... " وقد أراد فيه أن يصور سرعة رجع ذراعيها وتقلُّبهما فقيد وقوع هذه الصورة بحصول التعرُّق؛ لأنه الدليل على اشتدادها في السير، والبرهان على تحقُّق الشبه بينها وبين تلك الصورة التي رسمها الشاعر لها، وهي صورة المرأة الثكلى التي تتابع لطم خديها بيديها.

والموضع الثالث للتقيد بالشرط عنده جاء ليؤكد به على اشتداد الحر إذ يقول:

تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرِدٍ لَهَقٍ ... إِذَا تَوَقَّدَتْ الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ

وفيه قيّد وقوع إبصارها لما غاب من آثار الطريق بحدوث التوقُّد أي اشتداد الحر في الأمكنة الغليظة الصلبة والرمال المنعقدة الضخمة، وفيه دلالة على قوة بصرها، وبلوغها الغاية في حِدّة النظر بذكر الدليل والبرهان على ذلك، وهو إبصارها تلك الطرق الدارسة في ذلك الوقت الذي تصعب فيه الرؤية لارتفاع حرارة الشمس، ولا شك في أن وقوع المعنى مصحوبًا بدليله أوقع في

(١) السابق ٤٧.

النفس، وأثبت في الذهن. ومما ضاعف معنى شدة الحرارة، وزاده وهجًا إسناد الفعل – إسنادًا مجازيًّا – إلى **(الحزان والميل)** وهما أشدُّ احتفاظًا بحرارة الشمس من غيرهما، وهو من باب المجاز العقلي لعلاقة المكانية؛ للتأكيد على أن الحرارة من شدتها قد جاوزت إلى المكان فصار مشتعلًا متوقّدًا هو الآخر. ولا شك في أن هذا كله مما يقوي معنى شدَّة ناقته وصلابتها وحدة بصرها؛ إذ ظلت تسير مسرعة بالرغم مما اجتمع لها من قيظ الزمان ووعورة المكان. هذا، واختيار الشاعر (إذا) في الشرط دون (إن) له دلالة قوية في تعميق المعنى الذي أراده، وذلك لما هو مشهور من أن (إذا) تُستعمل في الشرط المجزوم بوقوعه، أي: فيما عُلم أنه كائن، بخلاف (إن) التي تُستعمل عند الشك في وقوعه، فلذا كان استعمال (إذا) هنا دليلًا قويًا على القطع بوقوع العرق في الموضعين الأولين، ووقوع التوقُّد في الموضع الثالث، ثم وقوع ما يترتب على الجميع مما ذُكر آنفًا، وكلُّ ذلك – ولا شك – كان له أثر في الدلالة على قوتها، واشتدادها في السير.

وأما **الأخطل** فقد جاء التقييد عنده بكلٍ من جملة الحال وجملة النعت والشرط كما جاء عند كعب إلا أنه زاد عليه التقييد بالظرف.

فأما التقييد بالحال عنده فهذا ما نراه في قوله:

كَأَنَّها واضِحُ الأَقرابِ في لِقَحٍ ... أَسمى بِهِنَّ وَعَزَّتهُ الأَناصيلُ

وفيه قيد المسند (**واضح الأقراب**) بجملتين حاليتين:

الأولى: **(أَسمى بِهِنَّ)** أي: نزل بهن السماوة، وهي مفازة بين الكوفة والشام، يُقال لها: سماو كلب، ولعل اختيار الشاعر لها فيه تعريض ببني كلب الذين نظم في هجائهم قصيدته هذه؛ لما في البيت وما يليه من دلالة على كونها أرض جدب، لا رعي فيها ولا ماء، وأن حمار الوحش سعى بأُتنه للارتحال عنها إلى مكان آخر حيث يجد الماء.

وقد أضفت هذه الجملة الحالية على ذلك الحمار الوحشي هالة من القوة والفحولة؛ إذ استطاع أن يقود هذا الجمع الغفير من الأتن الحوامل، وينتقل بها

من موضع إلى آخر. ومن ناحية أخرى فإن فيها دليلًا على انصياع أتنه، وانقيادها التام له.

والثانية: قيد ضميره المستتر في الفعل **(أسمى)** بالجملة الحالية **(وَعَزَّتــهُ الأَناصيلُ)** ، ومعناها: غلبته أناصيل النباتات أي شوكها فقد "غرّزه وآذاه في جحفلته وأنفه "[1] ، ويحتمل أن يكون معنى **(عزّته)**: عزّت عليه، أي نذُر وجودها وبالتالي نذُر وجود ما تدلّ عليه من الماء والكلأ والعشب، وعلى كلٍ فالجملة جاءت لتدلّ على ما اعترضه من عقبات خلال رحلته بأُتنه، وأن الرحلة لم تخلُ مما يُعكِّر صفوها، ومع ذلك تحمّل في سبيل توفير المكان الآمن والشراب الصافي لأتنه– كما سيأتي. وهذان القيدان لهما دلالتهما في المشبه، وهو الناقة التي نظم الشاعر الأبيات في وصفها، وشبهها بذلك الحمار الوحشي؛ إذ يدلان على جسارتها ويعكسان اعتماد الشاعر عليها في سير رحلته.

كذلك نراه يقيد المسند بالجملة الحالية في قوله: " **تذكَّر الشرب .. وَذو الأَشاءِ طَريقُ الماءِ مَشغولُ**" ، المعنى: أنه احتاج إلى الماء والحال أن الطريق المؤدي إلى الماء قد شغله الرعاة، وفيه دلالة على أن وِرد الماء لم يكن سهلًا، وأن الطريق إليه لم يكن السير فيه مُتاحًا، وفي التعبير بالجملة الاسمية إشارة إلى دوام انشغال هذا الطريق بالرعاة وعدم خلوه منهم في ذلك الوقت الذي اشتدت فيه حاجة فيه حمار الوحش وأتنه إلى الماء، وفي هذا تهويل للمشكلة التي واجهته، وتضخيم لحجمها؛ ليتوصل من ذلك إلى وصف عظيم قدرته على الخروج من الأزمات، ومواجهة الصعوبات حيث أورد أتنه الماء على الرغم من كثرة العقبات التي اعترضت طريقه.

ونراه يقيد المسند كذلك بالجملة الحالية في قوله: **(قارِحُ عامَينِ قَد طارَت نَسيلَتُهُ)** الذي قيد فيه **(قارِحُ عامَينِ)** بجملة الحال **(قَد طارَت نَسيلَتُهُ)**،

(١) شرح السُكري على شعر الأخطل ص ٥١.

ومعناها: تساقط شعره وتطاير، وفيها دلالة على شدة وسرعة انحداره من أعلى المرتفع إلى أسفله، وهكذا دأب الشعراء على تصوير منتهى السرعة بالطيران.

وثمَّ موضعان آخران قيّد فيهما المسند بجملة الحال وذلك في قوله:

أَوْرَدَهَا مَنْهَلًا زُرْقًا شَرَائِعُـــــه ... وَقَدْ تَعَطَّشْتْ الجِحْشَانُ والحُولُ

يَشْرَبْنَ مِن بارِدٍ عَذبٍ وَأَعيُنُها ... مِن حَيثُ تَخشى وَوارى الرامِيَ الغيلُ

والمعنى في البيتين: أن هذا الحمار الوحشي لم يورد أتنه أيّ مورد، وإنما أوردها موردًا خاصًّا يجمع بين الصفاء وغزارة الماء وعذوبته وبرودته، وليس هذا فحسب موطن القوة هنا، وإنما تكمن القوة – أيضًا – في أنه أوردها ذلك المورد الآنف الذكر والحال أنه **(وَقَدْ تَعَطَّشْتْ الجِحْشَانُ والحُولُ)** أي: في الوقت الذي حُرِمه – لبعده وصعوبة وِرده –الصغار من الولدان والحوائل– أي الصغار من الإناث التي لم تتزوج بعد – الذين بلغ بهم العطش كل مبلغ بدلالة ورود الفعل **(تَعَطَّشْتْ)** على صيغة (تفعّل) المضعَّفة العين، والتي تدل حدوث الفعل حدث مرة بعد مرة في الزمن الماضي، وهو ما يوحي بقوة العطش، وشدة الظمأ، وانه بلغ الغاية، وأربى على النهاية. فهذه الجملة الحالية قد زادت معنى الوِرد قوة وجلالًا، وخلعت على هذا الحمار الوحشي كل معاني الإخلاص وصدق الصحبة، والتفاني من أجل توفير الأفضل لرفقائه، وتلك هي المعاني التي أرادها الشاعر في ناقته، وأسبغها عليها من خلال تشبيهها بذلك الحمار الوحشي، فهي ناقة تجمع بين " صدق الصديق، وصبر الرفيق، وإخلاص الصحبة، وإن طال السفر وتعددت مشاقه " [(١)] .

وفي البيت الثاني قيّد المسند **(يَشْرَبْنَ)** بجملة الحال الاسمية **(وَأَعيُنُها مِن حَيثُ تَخشى)** ، ومعناها: أن أعين هذه الأُتُن ظلت ثابتة مصوّبة نحو ذلك المكان الذي تخشى أن تصيبها منه رمية صائد، وفي إيثار التعبير بحـــرف

(١) كلاسيكيات الشعر العربي. المعلقات العشر. دراسة في التشكيل والتأويل . د/ صلاح رزق. ١/ ١٠٧.

الجر (من) دون (إلى) إيحاء بشدة خوفها حتى لكأن أعينها – من شدة الخوف – نابعة من ذلك المكان الذي تخشى منه الصيد، وفيه دلالة على أن المكان لم يكن آمنًا، وهذا خطر آخر يواجه الحمار الوحشي، ولكنه يتغلب عليها كما تدل على ذلك أبياته الآتية.

كذلك عمد الأخطل إلى التقييد بجملة النعت؛ لتربية الفائدة وتكثيرها إذا اقتضى المقام هذا، ومن ذلك قوله:

فَّسَلِّها بِأَمونِ اللَيلِ ناجِيَةٍ ... فيها هِبابٌ إِذا كَلَّ المَراسيلُ

قَنواءَ نَضّاخَةِ الذِفرى مُفَرَّجَةٍ ... مِرفَقُها عَن ضُلوعِ الزَورِ مَفتولُ

وقد استعمل النعت بالجملة في موضعين من هذين البيتين: الأول: قوله: "**فيها هِبابٌ إِذا كَلَّ المَراسيلُ**" الواقع نعتًا للوصف **(ناجِيَةٍ)** [1] ؛ ليزيد في معنى السرعة، فليست ناقته ناجية أي مسرعة فحسب، وإنما **(فيها هِبابٌ)** أي نشاط **(إِذا كَلَّ المَراسيلُ)** إذا حصل فتور وكسل للمراسيل من النوق، وهن الشديدات السرعة والعدو؛ فتوصل الشاعر بجملة النعت إلى وصف فرط نشاطها وحركتها، وزاد من تأكيده هذا المعنى والمبالغة فيه ثلاثة أمور: الأول: تقديمه الجار والمجرو (فيها) والذي أفاد القصر، وهو قصر إضافي من نوع القلب، والمعنى: فيها لا في غيرها من النوق المراسيل، والثاني: الإتيان بالمسند إليه مصدرًا (هباب) ؛ لإفادة الحدث نفسه مجردًا من الزمان، وفي هذا مبالغة في إثبات النشاط، والثالث: التعبير بالجملة الاسمية التي تفيد الثبوت والدوام، ومن المعلوم أن النشاط وصف طارئ عارض على جميع المخلوقات، ولكن الشاعر تجاهل ذلك، وادعى ثبوته لناقته، ولزومه لها كالخِلقة الثابتة التي لا تفارقها بأي حال من الأحوال حين عبّر عنه بالجملة الاسمية، وفي

(١) وقد جاء هذا الوصف مجرورًا إما على البدليّة من (أمون الليل) ، وإما على تقدير حرف جر دلّ عليه ما قبله، وهو الباء المذكورة في قوله:" بِأَمونِ اللَيلِ".

ذلك دلالة واضحة على قوة همّتها، وثبات عزيمتها على السير، وكيف لا وهي لا تعرف للكسل معنى!

وأما الموضع الثاني: فهو وصفه لها بجملة النعت **(مِرفَقُها عَن ضُلوعِ الزَورِ مَفتولُ)** عقب وصفها بالمفرد **(مُفَرَّجَةٍ)** ، وفي الجملة تأكيد لهذا المفرد، وذلك أن لفظة **(مُفَرَّجَةٍ)** تعني: بعيدة المرفقين من إبطيها، وهذا المعنى هو ما أفادته جملة النعت، فإن قيل: لماذا أعاد الوصف مفصّلا بعد ذكره مجملًا؟ قيل: إن ذلك من باب التأكيد على اتصافها بالكرم حيث وصفها بما توصف به كرام الإبل مرتين إحداهما مفردة، والثانية جملة اسمية فيها معنى الثبوت والدوام.

كذلك ورد النعت بالجملة في قوله:

فَهاجَهُنَّ عَلى الأَهواءِ مُنحَدِرٌ ... وَقعُ قَوائِمِهِ في الأَرضِ تَحليلُ

فالمسند إليه في هذا البيت محذوف، ناب عنه نعته **(مُنحَدِرٌ)**، والذي يهمنا هنا نعته بجملة **(وَقعُ قَوائِمِهِ في الأَرضِ تَحليلُ)**، وقد سبقه إليه كعب، وقد سبق بيان معناه ودلالته.

والتقييد بالظرف عند الأخطل له دلالته أيضًا، نلمح ذلك في موضعين جمعهما قوله يصف الحمار الوحشي وحاجة أتنه إلى الماء:

تَذَكَّرَ الشُربَ إِذ هاجَت مَراتِعُهُ ... وَذو الأَشاءِ طَريقُ الماءِ مَشغولُ
فَظَلَّ مُرتَبِئًا عَطشانَ في أَمرٍ ... كَأَنَّ ما مَسَّ مِنهُ الشَمسُ مَملولُ
يَقسِمُ أَمرًا أَبَطنَ الغَيلِ يورِدُها ... أَم بَحرَ عانَةَ إِذ نَشفَ البَراغيلُ

ففي البيت الأول جاء التقييد بالظرف **(إِذ هاجَت مَراتِعُهُ)**، ومعناه: يبست مراعي الماء ومشاربه، وجاء التقييد به في البيت الثالث **(إِذ نَشفَ البَراغيلُ)**، والمعنى: جفت عيون الماء القريبة من شدة الحرّ، وفي تعريف المسند إليه **(البَراغيلُ)** بـ (ال) الاستغراقية دلالة على عظم الخطب وتفاقم الأزمة؛ إذ استغرق الجفاف كل عيون الماء القريبة فلم يُبق منها باقية، والتقييد بالظرف في الموضعين يصور لنا بوضوح حجم العقبات التي واجهت هذا الحمار الوحشي الذي شبه به ناقته، ويضعه في دائرة من الحيرة والألم النفسي تُحتِّم

عليه التصرُّف للخروج منها، حتى إذا ما فاجئنا الشاعر بعد ذلك بذكر تجاوزه إياها وتغلبه عليها، ألقى ذلك في أنفسنا كل معاني الثقة بقوة هذا الحمار الوحشي، والاطمئنان إليه في الخروج من العقبات والنجاة من المهالك؛ إذ كيف يوردها مَن لا ماء حوله منهلًا زرقًا شرائعه باردًا ماؤه عذبًا شرابه!! كيف ذلك والمراتع يبست والبراغيل جفتّ!!

لا شكّ في أن الذي يقدر على ذلك دابة يُعتمد عليها، ويوثق في قدراتها، تقدر على تجاوز الأزمات والصعوبات، والوصول بصاحبها إلى برّ الأمان، وهذا المعنى هو ما أراده الشاعر في ناقته من خلال تشبيهها بذلك الحمار الوحشي.

وأما التقييد بالشرط فقد وقع عند الأخطل في ثلاثة مواضع :

الأول: قوله: **فيها هِبابٌ إذا كَلَّ المَراسيلُ**" ، وأراد به أن ناقته في غاية النشاط إذا حدث فتور وكسل من النوق المراسيل، وهن المعروفات بفرط النشاط والحركة، فعلّق نشاطها على فتورهن؛ ليدل على تفرُّدها وتميُّزها عن أقرانها من النوق المراسيل اللاتي يتحقق وقوع الكلل منهن بدلالة الفعل الماضي (كلّ) على ذلك.

والثاني: قوله:

يَحدو خِماصًا كَأَعطالِ القَسِيِّ لَه ... مِن وَقعِهِنَّ إذا عاقَبنَ تَخبيلُ

يصف سوقه إياهن، فيذكر وقع حوافرهن عليه وجُرحهن إياه **(إذا عاقَبنَ)** أي وقت معاقبتهن، والمعاقبة: الجري بعد الجري، وقيمة هذا الشرط: بيان المبالغة في امتثالهن لسوقه إذ يعاقبن في الجري إلى الحدّ الذي يجرحنه فيه من وقع حوافرهن عليه، وفي هذا إيحاء بعظيم سيطرة هذا الحمار الوحشي (المشبه به) على سير الرحلة، وانتقال ذلك إلى ناقة الشاعر (المشبه) ، فيلمح فيها القارئ قوة وسيطرة على رحلة الشاعر تؤكّد أن ثقته التي وضعها فيها – من الهروب به من الهموم وتسليته عن فقد محبوبته – ثقة في محلها.

والموضع الثالث: هو قوله الذي ختم به أبياته في وصف الناقة:

إذا بَدَت عَورَةٌ مِنها أَضَرَّ بِها ... بادي الكَراديسِ خاظي اللَحمِ زُغلولُ

والمعنى: إذا رأى هذا الحمار الوحشي من أُتنه عوارًا أو خللًا في السير **(أَضَرَّ بِها)** أي: دنا منها؛ ليتدارك عوارها ويحثّها على السير، واختيار الشاعر (إذا) في الشرط دون (إن) له دلالة قوية في تحقُّق وقوع الشرط وهو الخلل في المشي من أُتنه، والجواب وهو دنوه منها وحثها على السير. وهذا كله يؤكد المعنى العام الذي دارت حوله الأبيات وهو حسن اعتماد هذه الأتن على ذلك الحمار الوحشي في سير الرحلة، وفي معالجة ما يطرأ فيها من أمور تعرقل السير، وانتقال ذلك المعنى إلى المشبه، وهو ناقة الشاعر.

هذا، ويتضح مما سبق أن كعبًا قد حرص في جمله الواقعة قيدًا على تأكيد أحد معنيين: **الأول:** اشتداد الحر وقت سير ناقته، فأكّد على ذلك بالظرف ونعته المذكور في البيت:

يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِدًا ... كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ

كما أكّد عليه بالجملتين الحاليتين **(وَقد جعلت وُرْقُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا، وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ)** ، وبجملة الشرط **(إِذَا تَوَقَّدتْ الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ)** وكلُّها دلائل بيّنة، وبراهين صادقة من الواقع تشهد بصدق ما ادّعاه من اشتداد الحر في ذلك الوقت، وهذا المعنى خلت منه جمل الأخطل الواقعة قيدًا، ولا شك في أن التأكيد على معنى اشتداد الحر وقت سير الناقة – ولا سيما وقد أُحيط بدلائل من الواقع الخارجي – يسهم بشكل كبير في الدلالة على بلوغ ناقته الغاية في قوة الجسم وصلابة البدن، ومن ثم يمكننا الحكم بأن الجمل المقيّدة عند الشاعرين قد أفادت تفوّق ناقة كعب على ناقة الأخطل في القوة والشدة.

والمعنى الثاني الذي حرص كعب على تأكيده في جمله الواقعة قيدًا: شدة سرعة ناقته وهذا ما دلت عليه جمله **(وهي لاهية، إذا عرقت (مرتين)، وقعهن الأرض تحليل)** ، وهذا معنى ذكره الأخطل دون تأكيد عليه، إذ ذكره مرة ليست من بنات أفكاره، في قوله: "**وَقعُ قَوائِمِهِ في الأَرضِ تَحليلُ**" الذي أخذه عن

كعب بتمامه ولم يكلّف نفسه جهد التصرّف فيه، كما دلّ عليه مرة أخرى في قوله: "**قَد طارَت نَسيلَتُهُ**".

ولا يمكننا أن نعدَّ قلة هذا المعنى وانعدام الآخر عيبًا في أبيات الأخطل؛ لما سبق أن ذكرناه من أن كلًا منهما أراد في ناقته معنى غير الذي أراده الآخر، ولذا رأينا الأخطل يوجِّه جمله الواقعة قيدًا في إبراز معنى لم يُعره كعبٌ أي اهتمام، وهو بيان تلك العقبات والمخاطر التي واجهت هذا الحمار الوحشي الذي شبه ناقته به، وذلك ما نراه في الجمل **(وَعَزَّتـهُ الأَناصيلُ، إِذ هاجَت مَراتِعُهُ، وَذو الأَشاءِ طَريقُ الماءِ مَشغولُ، إِذ نَشفَ البَراغيلُ)** ؛ ليؤكّد بذلك على معنى آخر لم يتعرض له كعب، وهو: قدرة ناقته على تجاوز المهالك، واعتماده عليها في النجاة من مخاطر رحلته.

وإذا كانت طبيعة المهمة التي أُنيطت بها ناقة كلٍّ منهما هي التي صدّتنا عن الحكم لأحدهما بالتفوّق على صاحبه فيما أكّد عليه من المعاني، فإن هاهنا نعوتًا مشتركة بين الشاعرين، تمكننا الموازنة بينهما فيها من معرفة صاحب الإجادة، وبِمَ استحقّها.

من ذلك: أن كلًّا منهما ذكر اعتراض شوك النبات لطريق دابته، فأما كعب فذكره في معرض حديثه عن قوائم ناقته، إذ نعتها بأنها "**لَمْ يَقِهِنَّ رُءُوسَ الْأُكُمِ تَنْعِيلُ**" ، وأما الأخطل فذكره في وصفه للحمار الوحشي الذي خرج بأتنه إلى بادية السماوة، فقال: " **أَسمى بِهِنَّ وَعِزَّتـهُ الأَناصيلُ**" أي غلبه شوك النبات الذي آذاه في أنفه وجحفلته، والمتأمل في هذين الجملتين يحكم لكعب بالإصابة دون الأخطل، وذلك أن كعبًا وصف قوائمها ببلوغها من الشدة والصلابة ذلك الحد الذي لا تحتاج معه إلى تنعُّل يقيها الأذى الواقع لها من رءوس النبات المدبّبة، وأما الأخطل فأبرز ذلك الحمار الوحشي – الذي ألحق به ناقته – في صورة الضعيف المتأذِّي من شوك النبات، وليس ذلك معنى للمدح.

كذلك كان لكعب فضل السبق إلى المعنى المراد من الجملتين: "**مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ**" ، "**وَقْعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ**" ، وهو مما يُحمد في الإبل،

وأما الأخطل فأخذه بلفظه ولم يزد عليه شيئًا، بل لم يُكَلِّف نفسه مشقة صياغته في ألفاظ أُخر؛ إذ يقول: " **مِرفَقُها عَن ضُلوعِ الزَورِ مَفتولُ**" ، "**وَقعُ قَوائِمِهِ في الأَرضِ تَحليلُ**", وكما كان لكعب فضل السبق كان له كذلك فضل الإجادة في صياغة المعنى في ألفاظ أشد ملائمة، وأكثر مناسبة له من تلك التي استعملها الأخطل، وذلك أن كعبًا عبّر عن عظام الصدر وضلوعه بقوله: "**بَنَاتِ الزَّوْرِ**" وهو أبلغ من "**ضُلوعِ الزَورِ**" الواردة عند الأخطل؛ لدلالتها على شدة اللصوق، وقوة الملازمة، وخروجها مخرج الكناية عن موصوف باعتبار، والاستعارة المكنية باعتبار آخر.

وأيضًا جملة النعت عند كعب "**وَقْعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ**" أوفى وأقوى في الدلالة على سرعة رفع قوائمها عن الأرض من جملة الأخطل "**وَقعُ قَوائِمِهِ في الأَرضِ تَحليلُ**"؛ لأن التقييد بـ (في) الظرفية لا يتناسب مع هذا المسّ الخفيف السريع الذي لا يكاد يلامس الأرض؛ لأنه يقيّد من هذه الحركة السريعة، ويحدُّ منها، بل ويجعل من الأرض وعاءً لتلك اليسرات تحلُّ فيه وقتًا.

وكان ذكر الحصا التي تعترض طريق الدابة معنى مشتركًا بينهما كذلك، قال فيه كعب: "**يَتْرُكْنَ الْحَصَى زِيَمًا**"، أي أن قوائم ناقته لشدة وطئها الأرض تجعل الحصى متفرّقًا، فأثبت لها الأثر فيها أي أنه جعلها – لصلابتها – مؤثّرة في الحصى، وأما الأخطل فقال فيه واصفا حمار الوحش الذي شبه به ناقته: "**سُنبُكُهُ مِن رُضاضِ المَروِ مَفلولُ** " فجعل الحصى المتكسّر مؤثّرا في مقدّمة حافره ثالمًا إياها، وهذا دليل ضعف حوافره، حتى وإن سلّمنا أن المراد هنا: أنه هو الذي يفلق الحصى ويكسره لشدة وطئه الأرض، فإن ذكر فلّ سنبكه يحول بيننا وبين الحكم له بالإجادة.

وهكذا فاق كعبٌ الأخطلَ في هذه المعاني الثلاثة المشتركة بينهما، ولم تكن هي فحسب كل ما أخفق فيه الأخطل في هذا المقام، بل إن المتأمّل في بعض جمله الواقعة قيدًا يلاحظ شيئًا من عدم التلاؤم بين معناها وبين المعاني السابقة لها؛ إذ يجده مثلا يقيّد الفعل (**يَشْرَبْنَ**) بالجملة الحالية (**وَأَعيُنُها مِن حَيثُ تَخشى**) ،

ومعناها: أن هذه الأتن كانت تشرب وهي تراقب مكامن الصيادين؛ خشية أن تقع في الصيد، وتصيبها سهامهم، وفي هذه الجملة دلالة على أن هذه الأتن لم تكن في مأمن من الصيد، وأنها لم تكن تشعر بالأمان والاطمئنان أثناء شربها، بل ظلت أعينها تدور يمينًا وشمالًا؛ خوفًا من أن يصيبها سهم صائد، والسؤال هاهنا: لماذا لم يختر هذا الحمار الوحشي لأتنه مكانًا آمنًا غير هذا؟ وإذا كان الجواب أن ما تميّز به ماء هذا المكان من الصفات السابقة هو الذي جعله يحطُّ عنده رحاله، فلماذا لم يشغل باله بمراقبة الصيادين لتنعم أُتنه في شربها؟ إن مساحة من عدم التناسب والتلاؤم بين تلك اللوحة السابقة التي خطّها الشاعر في أعيننا لهذا الحمار المخلص الجسور الذي يقوم على تدبير أمرها ويتفانى من أجل راحتها وبين تلك الجملة الواقعة حالًا التي تنمحي فيها ملامح دوره في صونها – هذه المساحة – تجعلنا نجزم بإخفاقه ومجانبته الصواب في هذا المعنى؛ إذ كان الأولى به والأحرى أن يجعل منه عينًا تراقب ما تخشاه أُتنه؛ فيهنأ شربها، ويُروى ظمؤها. كما أنه لا يخفى ما يثيره هذا القيد من معنى في المشبه (ناقة الشاعر) إذ يُضعف من معنى كمال اعتماد الشاعر عليها؛ إذ لم تكن على ذلك القدر الكافي من تحمُّل أعباء الرحلة.

وإذا كان الأخطل قد ضعف في هذه المواطن فلم يراع دقائق المعنى ومتطلبات السياق، فليس من الإنصاف أن نتجاهل ذلك المعنى الذي أصاب فيه حين أخفق كعب، وذلك أن كعبًا أراد أن يمدح ناقته بفرط السرعة، فخانه التعبير ووصفها بالإعياء والتعب من حيث لا يدري، وذلك قوله: "**فِيْهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ**" أي أنها " إذا أعيت وكلّت من كثرة السير جاء منها على التعب هذان النوعان"[1] من السير السريع، فأثبت لها الإعياء والتعب، وأما الأخطل فناقته لا تتعب أبدًا ولا تعرف للكسل والفتور معنى، وهذا قوله: " **فيها هِبابٌ إِذا كَلَّ المَراسيلُ**"، وهو أدخل في المدح، وأوفى في الدلالة على فرط نشاطها وسرعتها، وهذا معنى فاق فيه الأخطل كعبًا.

(١) شرح ابن حجة ص ٣٨.

المحور الثالث

الصورة الفنية

ويشتمل على:

أولًا: التشبيه.

ثانيًا: الاستعارة.

ثالثًا: الكناية.

كانت الصورة الفنية ولا تزال هي اللغة الشعرية التي يخلق بها الشاعر جوًّا من التفاعل بينه وبين المتلقي، ينقل له فيها أفكاره وخياله، مُستندًا في ذلك على واحد أو أكثر من شعبها (التشبيه، والمجاز، والكناية) ؛ بهدف استثارة إحساس المتلقِّي، والتأثير فيه، وإبراز المعنى في صورة واضحة قريبة، ولذا اعتمد عليها كلُّ واحد من الشاعرين في التعبير عما استبدّ في ذهنه، وربض في دواخله من مشاعر وأحاسيس تجاه ناقته؛ حتى ينقلها للمتلقي؛ فيزداد إعجابه بها، وثقته فيها.

وقد تعددت أنماط الصورة عند الشاعرين بين: تشبيه، واستعارة، وكناية، ولذا انقسم الحديث في هذا المحور إلى ثلاثة عناصر، وهذا تفصيل القول فيها:

أولًا: التشبيه

والتشبيه عند كعب جاء أغلبه بأداة التشبيه (كأن) ؛ للدلالة على قوة الشبه بين المشبه والمشبه به؛ لأن (كأن) أقوى في إلحاق المشبه بالمشبه به من الكاف، ولهذا استعملها في ثلاثة مواضع من تشبيهاته الستة، وهذا بيان جميعها:

التشبيه الأول جاء في قوله:

تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرِدٍ لَهَقٍ ... إِذَا تَوَقَّدَتْ الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ

ففي قوله: "**بِعَيْنَيْ مُفْرِدٍ لَهَقٍ**" تشبيه خرج مخرج التجريد؛ بدلالة الباء الداخلة على المشبه به "بِعَيْنَيْ" ؛ للمبالغة في الدلالة على قوة إبصارها، وحدة نظرها، وإنما خص المفرد – وهو ثور الوحش– بالاستعمال هنا، ؛ لأنه أحدُّ الحيوانات بصرًا، وأقواها نظرًا حتى إنهم أطلقوا عليه اسم العين أحيانًا، ثم إنه لم يكتف بذلك، بل قيّده بما يضاعف فيه معنى قوة البصر وحدّته حين نعته بـ (لهق) وهو الأبيض من ثور الوحش وهو أقوى أنواعه وأحدّها بصرًا .

التشبيه الثاني جاء في قوله: **كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا ... مِنْ خَطْمِهَا وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ** شبه ما بين عينيها ومنحرها بالبرطيل، وهو الحجر المستطيل، وفي رواية أخرى للبيت: كأنما قاب ... ، والقاب: المقدار والمسافة، والمراد على هذه الرواية تشبيه المسافة التي بين عينيها ومقدّم فكّيها بالحجر المستطيل، ووجه الشبه: الاستطالة(١).

وجاء التشبيه الثالث في وصفه وقت الهاجرة:

يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِدًا ... كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ

وفيه يذكر أن **(الحرباء)** – وهو حيوان عرف باستقباله للشمس ودورانه معها حيث دارت – يظل في ذلك اليوم **(مصطخدًا)** (٢) أي: محترقًا من شدة حرارة الشمس **(كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ)** أي أن ما يبرز للشمس من هذا الحيوان في ذلك اليوم الشديد الحرارة يشبه ما يوضع في الملة – وهي الجمر أو الرماد الحار – ليخبز وينضج. وفي هذا التشبيه تأكيد على معنى اشتداد الحر وقت الهاجرة، وهو الوقت الذي تسير فيه ناقته، وهذا ولا شكّ فيه تأكيد على قوتها وصلابتها إذ تقوى على تحمُّل ما لم يتحمله ذلك الحيوان الذي يستقبل الشمس بأصل خلقته وطبيعته.

وأما التشبيه الرابع عند كعب – وهو جوهرها وواسطة نظامها – فهو قوله يصف حركة يدي ناقته في السير:

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إذا عَـــرِقَتْ ... وَقَـدْ تَلَفَّعَ بِالْقُـورِ الْعَسَاقِيـلُ
أَوبُ يَدَيْ فاقِـدٍ شمطاءَ مِعْوَلَةٍ ... قَامَتْ فَجَاوَبَهـا نُكْدٌ مَثَاكِـيلُ

---

(١) يُنظر: السيرة لابن هشام ٥٠٧/٢ ، بهجة المحافل وبغية الأماثل في المعجزات والسير والشمائل ليحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي (ت ٨٩٣هـ). ط: دار صادر – بيروت. ١/ ٤١٥ ، يُنظر أيضًا: ثلاثية البردة ثلاثية البردة بردة الرسول ﷺ لحسن حسين (معاصر) . ط: دار الكتب القطرية . الدوحة. الأولى ١٤٠٠هـ . ص ٣٧ وما بعدها.

نَوَّاحَةٍ رِخْوَةِ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا ... لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ

تَفْرِى اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمِدْرَعُـهَا ... مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهـــَا رَعَابِيلُ

وفي هذه الأبيات يشبه الشاعر سرعة حركة يدي ناقته، ورجوعهما في السير بسرعة حركة يدي امرأة ثكلى في اللَّطم على وجهها حزنًا على ولدها، وكان للقيدين المذكورين في المشبه **(إذا عَرِقَتْ، وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ)** أثرهما في المبالغة في المعنى، فهذه الحركة السريعة مقيّدة بكونها إذا عَرِقَتْ وَقَت تَلَفَّعَ صغار الجبال بالسراب، وهذا لا يكون إلا عند الظهيرة وقت الإحماء، واشتداد الحرارة مما يضاعف من معنى شدّة ناقته وقوتها. وفي المشبه به لم يكتف الشاعر بوصف هذه المرأة بالفقد، وإنما عدّد نعوتها، وأتى من الأوصاف بما يزيد حزنها شدة، وفقدها ألمًا وحسرة؛ إذ وصفها بأنها **(شمطاء، معولة، قامت فجاوبها نكد مثاكيل، نواحة، رخوة الضبعين، لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ، تَفْرِى اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمِدْرَعُهَا مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ)** ، وقد سبق الوقوف عند هذه النعوت وتفسيرها وبيان دلالاتها وأثرها في المعنى الذي أراده الشاعر.

ولكن الذي يعنينا هنا أن هذه الصفات جميعها قد زادت من وقع ألم الثكل على تلك المرأة، وضاعفت من حزنها وبكائها، وكان لها أثر كبير في زيادة لطمها على وجهها، وسرعة حركة يديها في اللطم، وهذا هو بيت القصيد الذي سعى الشاعر لإثباته والتأكيد عليه في المشبه به لينقله إلى المشبه الذي هو ناقته؛ فيزيدها سرعة وعدوًا بالشاعر إلى أرض محبوبته، فيأتيها في أقرب وقت وأسرع زمان، فضلًا عما أفاده التشبيه من تقريب المعنى وتجسيده حتى لكأن السامع أو القارئ يرى سرعة حركة يديها وسرعة رجعهما وكأنها ماثلة أمامه، فيستقر المعنى في ذهنه، وتتأكّد لديه الفكرة.

وأما الموضع الخامس من تشبيهات كعب فقد استعمل فيه أداة التشبيه (مثل) ، وذلك قوله:

تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ ... فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوَّنْهُ الْأَحَالِيلُ

وفيه شبه الشاعر ذيل ناقته بعسيب النخل، وهو: جريده الذي لم ينبت عليه الخوص في طوله وقوته.

وجاء الموضع السادس للتشبيه عند كعب محذوف الوجه والأداة، وذلك قوله يصف قوائم ناقته: "**سُمْرِ الْعُجَايَاتِ**" الذي شبه فيه العجايات – وهي أعصاب قوائم ناقته – بالسُّمر، وهي الرماح تشبيهًا بليغًا، ووجه الشبه: القوة والصلابة، والاستقامة أيضًا، وفي هذا دلالة على قوة قوائمها وشدتها، وقدرتها الفائقة على السير، وزاد هذا المعنى تأكيدًا ومبالغة إضافة المشبه به – وهو الكامل في وجه الشبه– إلى المشبه– وهو الناقص فيه؛ لإيهام كماله في المشبه، ومجيء المشبه به صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت.

وأما **الأخطل** فقد فاق كعبًا في عدد التشبيهات؛ إذ جاءت تشبيهاته في سبعة مواضع، واتفق معه في أن الغالب عنده استعمال (كأن) في التشبيه. وأول التشبيهات عنده قوله يصف سرعة ناقته في السير:

تَسمو كَأَنَّ شَرارًا بَينَ أَذرُعِها ... مِن ناسِفِ المَروِ مَرضوحٌ وَمَنجولُ

وفيه شبه هيئة ما انقلع من الأرض من الحجارة البيضاء خلال عدوها، وتطايره بين ذراعيها مكسورًا تارة ومدفوعًا أخرى، بهيئة الشرار المتطاير إثر اصطكاك جسم صلب بآخر مثله، ولا يخفى ما في هذا من إبراز لقوة تأثيرها في الحجارة، وشدة دفعها لها، وما وراء ذلك من الدلالة على اشتدادها في السير.

ومن الملاحظ على هذا التشبيه أنه جاء على خلاف الأصل المنصوص عليه عند البلاغيين في مبحث التشبيه، وهو أن (كأن) يليها المشبه، حيث وقع بعدها المشبه به (**شَرارًا**) ، كما أنه ليس من التشبيه المقلوب الذي يُجعل فيه المشبه مشبَّهًا به، والمشبَّه به مشبَّهًا؛ لأنه المشبه لم يقع ركنًا في الجملة، بل هو مفهوم من الجار والمجرور (**مِن ناسِفِ المَروِ**)، ولذا اعترض البهاء السبكي على جعل مثل هذا من التشبيه الاصطلاحي، وأوّله بتشبيه هيئة بهيئة كما سبق، أو على أن (كأن) ليست للتشبيه، وإنما هي للظنّ.

والذي تميل إليه النفس: أنه لا مانع من أن يقع المشبه به في موقع المشبه إعرابيًّا، طالما فُهم المعنى ودلّ السياق على التشبيه، وللنفس في التشبيه الضمني شاهد صدق يؤيِّد صحة ما مالت إليه.

والتشبيه الثاني عند الأخطل جاء في قوله:

كَأَنَّها واضِحُ الأَقرابِ في لِقَحٍ ... أَسمى بِهِنَّ وَعَزَّتهُ الأَناصيلُ

شبه حال ناقته معه بحال حمار الوحش مع أُتُنه الحوامل، واستطرد في التشبيه إذ ظلّ يصف حاله معها ورحلته بها إلى الماء حتى استغرق الوصف بقية أبياته في وصف الناقة، وقد تقدّمت في

المحورين السابقين دراسة تلك المفردات والجمل – التي استطرد بها في تشبيهه– كلّ في بابه، وبيان دلالاتها وأثرها في المشبه، وأنها كلها تتبلور في إطار وصف هذا الحمار الوحشيّ بصدق الصُّحبة، والإخلاص فيها، وحسن الاعتماد عليه في مواجهة العثرات والعقبات التي تعترض رحلته مع إناثه، وانتقال تلك المعاني إلى المشبه (ناقة الشاعر) ، فيضفي ذلك عليها كثيرًا من معاني حسن مصاحبة الشاعر، والقدرة على مواصلة الرحلة معه مهما حدث، والتغلب على ما يعترض طريقهما من عوارض الطريق ، ويعكس ما سيطر على وجدان الشاعر من ثقته التامة بها، واطمئنانه إليها في إصلاح شئون رحلته.

ومن الجدير بالذكر هنا أن وصف رحلة الحمار الوحشي بحلائله وارتحاله بها من المكان القفر إلى مكان الماء أمر دأب الشعراء الجاهليون على ذكره في قصائدهم؛ إذ رأوا في رحلته بأتنه تصويرًا لحالهم عندما ينقلب الخصب إلى جدب مهلك في فصل الصيف، فينحبس المطر، وتجف عيون الماء، ويهلك الحرُّ العُشب، فيصبح تحوُّل القبيلة وارتحالها أمرًا لا مفرّ منه، فالقيظ الذي يجبر القبيلة على الارتحال هو ذاته الذي يجبر حمار الوحش

على ترك مراعيه، والبحث عن أمكنة جديدة للعيش فيها مع أتنه [1]. ومن الملاحظ هنا أن الأخطل أفاد من تلك التجربة الجاهلية أيّما إفادة، فاستعمل حمار الوحش في التعبير عن تجربته الذاتية؛ إذ رمز به عن فقده محبوبته الذي دفعه إلى الارتحال من مكان لآخر، كما دفع فقد الماء والكلأ هذا الحمار إلى الانتقال بأتنه من مكان إلى آخر بحثًا عنهما.

وربما كان ما ذكره الأخطل من قيام الحمار الوحشي بواجباته تجاه أتنه وأَجِنَّتِها خير قيام، ووصوله بها إلى الماء رغم وعورة مسلكه، ثم حمايتها مما يتربص بها من سهام الصيادين فيه إشارة إلى " أن ما لم يستطع الشاعر تحقيقه مع المرأة يعوضه من خلال صورة حمار الوحش وأتانه، فهذا المشهد قد يكون تفريغًا للدور الأبوي المجهض لارتحال طرف العلاقة الآخر" [2]

وأما تشبيهاته الخمسة الأخرى فقد تفرّعت عن هذا الاستطراد في التشبيه، وأملتها على الشاعر ظروف رحلة هذا الحمار الوحشيّ مع أُتنه، وجاءت مؤكِّدةً لتلك المعاني التي تبلور حولها الوصف، ومن ذلك قوله:

فَظَلَّ مُرتَبِئًا عَطشانَ في أَمرٍ ... كَأَنَّ ما مَسَّ مِنهُ الشَمسُ مَملولُ

وفيه يصف طول وقوفه – وقت الهاجرة – على ذلك المرتفع من الأرض ينظر أين يذهب بأُتنه ليرويها، وقد شبه – في الشطر الأخير – ما مسّه الشمس من ذلك الحمار الوحشيّ بالطعام أو الخبز المعمول بالملّة، وهي الجمر أو الرماد الحار – كما سبق في تشبيه كعب. وقد أراد بهذا التشبيه تصوير معاناة هذا الحمار الوحشيّ، ووصف ما يجده من شدة حرارة الشمس، وقوة تحمُّله وصبره في سبيل توفير الماء لأُتنه.

وقوله:

---

(١) يُنظر: دور الحيوان في التعبير عن التجربة الجاهلية. حمار الوحش نموذجًا. اص ٤٨٦.

(٢) السابق ص٤٩٠

يَحدو خِماصًا كَأَعطالِ القَسِيِّ لَه ... مِن وَقعِهِنَّ إِذا عاقَبنَ تَخبيلُ

وفيه يشبه أُتنه الخماص – أي الضوامر – بالقِسيّ المعطّلة، وهي الأقواس التي لا وتر لها، ووجه الشبه: انقطاع العمل المرجوّ، فهذه الأُتن أجهدها الحمل والعطش فانقطعت عن السير، ولم تقوَ على الرحلة، كما انقطعت تلك الأقواس التي لا وتر لها عن إصابة الهدف، وفي هذا التشبيه تجسيد لذلك الأمر المعنوي، وتقريب له في الذهن، وتصوير لقوة حمار الوحش في قدرته على سوق مثل هذه الأتن الموصوفة بذلك.

وتصل الرحلة إلى نهايتها إذ يحطُّ حمار الوحش وأتنه رحالهم عند الماء، وهنا يجري الأخطل على عادة الشعراء الجاهليين، فيذكر أن نهاية الرحلة لم تكن دون وجود عقبات، حيث وجد حمار الوحش وأتنه عند غدران الماء صيادًا، يربض في وكره قريبًا من مورد الحيوانات، بانتظار وصول صيد يسوقه العطش، فيرمي من كنانته بسهم، ولكن السهم يخطئ مقصده دائمًا [1].

يقول الأخطل:

نالَت قَليلًا وَخاضَت ثُمَّ أَفزَعَها ... مُرَمَّلٌ مِن دِماءِ الوَحشِ مَعلولُ

فَانصَعنَ كَالطَيرِ يَحدوهُنَّ ذو زَجَلٍ ... كَأَنَّــهُ في تَواليهِنَّ مَشكولُ

مُستَقبِلٌ وَهَجَ الجَوزاءِ يَهجِمُها ... سَحَّ الشَآبيبِ شَدٌّ فيهِ تَعجيلُ

يصف حال تلك الأتن لما رأين سهم الصائد يقترب منهن، فشبههن – في الشطر الأول من البيت الثاني– بالطير في الإسراع، وشبه الحمار الوحشي – في الشطر الثاني – بالمقيَّد في المتخلفات عن السير منهن " يطردهن يكره أن يتقدمهن فهو يقرمط المشي وراءهن "[2]، والوجه هنا: الملازمة، فهذا الحمار الوحشيّ يلازم أُتنه كملازمة المقيّد لما قُيِّد به، والتشبيه يصوّر عظيم شهامته وقوة إخلاصه في أوجز لفظ، وأكمل عبارة، ويؤكّد – من

(١) يُنظر السابق نفسه

(٢) شرح السُّكَّري على شعر الأخطل ص ٥٣.

طريق آخر- على ملازمة الناقة لصاحبها في أحلك الأزمات، وأصعب المواقف.

وقوله:

مُستَقبِلٌ وَهَجَ الجَوزاءِ يَهجِمُها ... سَحَّ الشَآبيبِ شَدٌّ فيهِ تَعجيلُ

هذا البيت يحتمل وجهين: الأول: أن تكون لفظة **(سَحَّ الشَآبيبِ)** مفعولًا مُقدّمًا للفعل يهجم وفاعله شد، فيكون المعنى: أن هذا الشد لا يسيل منها عرقًا، وإنما يسيل منها **(سَحَّ الشَآبيبِ)** أي دفعات من المطر الغزير، ويكون اللفظ مستعار للعرق؛ للدلالة على شدته وغزارته.

والوجه الثاني: أن تكون هذه اللفظة **(سَحَّ الشَآبيبِ)** منصوبة على نزع الخافض، وفي الجملة تعقيد لفظي ناتج عن التقديم والتأخير، وأصل الكلام: يهجمها شدٌّ فيه تعجيل كسحّ الشآبيب، ويكون هذا من باب التشبيه، وحينئذ يكون المعنى المراد هنا: تعجيل فيه سرعة وقوّة كسرعة انصباب الدفعات الغزيرة من المطر، وشدة وقوة وقعها على الأرض.

ويختم الأخطل أبياته في وصف الناقة بتشبيه شدة سرعة ناقته من خلال وصف سرعة حمار الوحش، إذ يقول: **يَتبَعُهُ مِثلُ هُدّابِ المُلاءِ لَهُ مِنها أَعاصيرُ مَقطوعٌ وَمَوصولُ**

والمشبه فيه مقدّر، والأصل يتبعه غبار ثائر مثل هداب الملاء، والهُداب: أطراف الثوب أو الإزار، المُلاء: الملاحف، أي أن ما يثيره هذا الحمار الوحشي من الغبار خلال عدوه يشبه أطراف الملاحف التي يلتحف بها في الالتفاف، فأطراف الثوب ملتفّة حول جسد لابسه، والغبار الثائر ملتفٌ حول نفسه كالإعصار، وفي هذا التشبيه دلالة على قوة سير حمار الوحش وسرعة عدوه إثر هروبه من سهام الصائد، وانتقال تلك الدلالة إلى ناقة الشاعر الواقعة مشبَّهًا، وفي التعبير بالفعل المضارع استحضار لتلك الصورة، واستدعاء لها في الذهن، وفي التعبير بالجمع **(هُدّابِ المُلاءِ)** إشارة إلى كثرة

تلك العواصف الرملية المكوّنة خلفه، وفيه تأكيد على معنى شدة السير وسرعته، وقوله: "**لَهُ مِنها أَعاصيرُ مَقطوعٌ وَمَوصولُ**" تأكيد ثانٍ لهذا المعنى.

وبعد عرض ما اتّكأ عليه كل واحد من الشاعرين في خدمة تجربته الشعرية من تشبيهات يمكننا القول بأن كلًا منهما قد وُفِّق في اختيار تشبيهات مصوِّرة لمعانيه التي انطوت عليها نفسه، ومعبِّرة عما اختلج وجدانه من مشاعر الثقة في ناقته، والاطمئنان إليها في أداء المهمة التي كلّفها بها صاحبها، وقد جاءت تشبيهات الشاعرين جميعها من باب تشبيه الشيء المحسوس بشيء محسوس مثله بلغ الغاية في الاتصاف بوجه الشبه، فوجد كل منهما في إلحاق مُشبّهِه به خير طريق للتأكيد على اتصافه بذلك الوجه، وللمبالغة في وصفه به. وقد أخذ كل واحد من الشاعرين في معانيه المرادة من تشبيهاته اتجاهًا مغايرًا لاتجاه صاحبه، فلم نرَ بينهما اشتراكًا إلا في معنيين: أحدهما: عام، والآخر: خاص. فأما المعنى العام فهو معنى السرعة الذي اختلفت صياغة كلّ منهما له في تشبيهه، فكعب أثبت هذا المعنى لناقته عن طريق تشبيه سرعة رجع يديها في السير بسرعة رجع يدي المرأة الثكلى في اللطم على خديها، واستطرد في أوصافها بما يزيدها سرعة لطم فيزيد ناقته سرعة عَدْوٍ، وذلك في صورة بديعة استغرقت – وحدها – أربعة أبيات من أبياته في وصف الناقة.

وأما الأخطل فقد رأيناه في تشبيهاته يصف حمار الوحش – الذي شبه ناقته به – بالسرعة حال هربه بأتنه من سهام الصائد لا على وجه العموم، وذلك قوله: "**يَهجِمُها سَحَّ الشَآبيبِ شَدٌّ فيهِ تَعجيلُ**" ، وقوله:

يَتبَعُهُ مِثلُ هُدّابِ المُلاءِ لَهُ ... مِنها أَعاصيرُ مَقطوعٌ وَمَوصولُ

فضلًا عما أُخذ عليه في التشبيه الثاني من جعله تلك الأعاصير قسمين: مقطوع وموصول، مما يبرز عدم ديمومة السير، أو عدم ديمومة السرعة. ثم إنه ركّز قبل ذلك على تأكيد المعنى الذي دندن حوله وعقد تشبيهه لأجله إلا أنه في هذه المرة كان له دور كبير في الحدّ من سرعته، وذلك قوله: "**كَأَنَّهُ في**

تَواليهِنَّ مَشكولُ" الذي شبه فيه حمار الوحش بالمقيَّد خلف أتنه يكره أن يتقدمهن، فهو وإن دلّ على عظيم شهامته، وحسن رعايته لهن، إلا أنه قد حدّ من سرعته، وقيّد حركته، وأضعف عدوه، ومن ثمّ يمكننا الحكم لكعب بالتفوّق على الأخطل في تصوير معنى السرعة.

وأما المعنى الخاص الذي اشتركا فيه فهو تشبيه كل منهما لما أصابته الشمس بالمملول، فهو معنى خاص لأنه منبثق عن معنى عام وهو تصوير اشتداد حرارة الشمس في ذلك اليوم الذي رحل فيه كل منهما بناقته، وفي ذلك قال كعب:

يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِدًا   كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ

وقال الأخطل:

فَظَلَّ مُرتَبِئًا عَطشانَ في أَمرٍ ... كَأَنَّ ما مَسَّ مِنهُ الشَمسُ مَملولُ

وتشبيه كعب أقوى وأبلغ في تصوير شدة الحرارة، ولفح الشمس من تشبيه الأخطل؛ لأن كعبًا صوّر الحِرباء – التي تستقبل الشمس بأصل خلقتها، وتدور معها حيث دارت – في صورة مخالفة لطبيعتها، وهي عدم قدرتها على تحمّل حرارة ذلك اليوم، واصطلاؤها بها؛ لبلوغها غايتها القصوى في الاشتداد. فضلًا عن الإيجاز الذي امتاز به التعبير عن المشبه عند كعب، وهو قوله: "**ضَاحِيَه**" – أي ما برز للشمس منه – في مقابل تعبير الأخطل عنه بقوله: "**ما مَسَّ مِنهُ الشَمسُ**". كذلك فإن قول كعب: "**بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ**" يفيد شدة لصوق الشمس بتلك الدويبة (**الحرباء**) حتى لكأن الشمس نفسها هي ذلك الجمر الذي يُحمى ليُخبَز به، والحرباء موضوعة عليه، وفي هذا بيان لقوة تأثير حرارة الشمس فيها، وشدّة تأثُّرها بها، وهذا معنى خلت منه عبارة الأخطل، فضلًا عن تعبير الأخطل بالمَسّ الذي يُضعف من تصوير القدر الذي أصابته الشمس من حمار الوحش. ولعل الأخطل قد نظر في تشبيهه هذا إلى تشبيه كعب، لكنه قصر دونه.

ثانيًا: الاستعارة

وردت الاستعارة عند **كعب** في خمسة مواضع: اثنين منها جمعهما البيت الآتي:

تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنَيْ مُفْرِدٍ لَهَقٍ ... إِذَا تَوَقَّدَتْ الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ

وفيه استعار الرمي في قوله: " **تَرْمِي الْغُيُوبَ**" استعارة تبعية حيث شبه إبصار ناقته ما غاب من آثار الطريق بالرمي بجامع الإصابة، وفي التعبير بالرمي دلالة على عظيم همّتها، وقوة قصدها لتلك الطرق التي "غابت معالمها عن العيون" (١) كما يقصد الرامي هدفه، ويعمل جاهدًا للظفر به.

وجاءت جملة الظرف **(إِذَا تَوَقَّدَتْ الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ)** تحمل الاستعارة الثانية إذ شبه فيها اشتداد الحرّ وقت الهاجرة في تلك الأماكن بتوقُّد النار واشتعالها؛ ليؤكِّد على شدة ارتفاع حرارة الشمس، ويبرهن على تفرُّد ناقته وتميُّزها في القوة وحدّة البصر؛ لأنه إذا كانت حرارة الشمس حالها هكذا في الشدة ، ومع ذلك فهي تسير مسرعة وتُبصر ما لا تقوى العيون على إبصاره فلا ريب في أنها ناقة فريدة، بلغت في القوة وحدّة البصر غاية لا تُدرَك.

وزاد من تأكيد هذا المعنى والمبالغة فيه ما تقدّم ذكره من ورود الفعل على صيغة (تفعّل) التي تفيد ازدياد الاشتعال وتجدد حدوثه مرة بعد أخرى في الزمن الماضي، وإسنـــاده الفعل – إسنادًا مجازيًّا – إلى **(الحزان والميل)** وهما أشدُّ احتفاظًا بحرارة الشمس من غيرهما.

وأما الموضع الرابع لاستعاراته ففي قوله: **(قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ)** حيث استعار (القذف) – وهو الرمي – لما نزل بها من كثرة اللحم، والجامع: الإصابة والالتصاق. سر هذه الاستعارة: تصويرها وقد رميت باللحم رميًا أصابها ولازمها. والموضع الأخير من استعارات كعب جاء في قوله:

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إذا عَرِقَتْ ... وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ

---

(١) السيرة لابن هشام ٢/ ٥٠٦.

"**وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ**" فيه قلب – كما تقدّم – إذ أصل الكلام: تلفعت القور بالعساقيل، وفيه استعار (التلفُّع) – وهو اتخاذ اللفاع أي اللثام – لإحاطة السراب صغار الجبال، وهي استعارة بديعة تجلّت فيها براعة الشاعر في رسم صورة واضحة للسراب وقد ستر الجبال وأحاط بها وغطّاها كما يحيط اللثام بوجه المُلثّم فلا يُظهِر منه شيئًا، وفي هذا دلالة واضحة على اشتداد حرارة الشمس؛ إذ لا يكون السراب منتشرًا هكذا إلا مع ارتفاع حرارة الشمس إلى الغاية القصوى، وفي هذا تأكيد ثانٍ للمعنى السابق وهو شدّتها وقوّتها حيث تسرع في ذلك الوقت الشديد الحر الذي لا تقوى فيه نظائرها من النوق ولو على قرمطة المشي.

وأما **الأخطل** فقد أقلّ من استعارة الألفاظ، فلم ترد الاستعارة عنده إلا في موضعين: أحدهما: قوله يصف حمار الوحش:

قارِحُ عامَينِ قَد طارَت نَسيلَتُهُ ... سُنبُكُهُ مِن رُضاضِ المَروِ مَفلولُ

فقوله: "**قَد طارَت نَسيلَتُهُ**" استعار فيه الطيران لسرعة هوي نسيلته – وهي ما تساقط من شعره ووبره – على الأرض، وهذا دليل على شدة سرعته، زاد هذا المعنى تأكيدًا دخول حرف التحقيق (قد) على الجملة، كما كان في بناء الجملة على غير اسم دلالة على كون ذلك الوصف معلومًا لا يُشَكُّ فيه، وفي ذلك يقول الإمام عبد القاهر: ويَزيدُكَ بَيانًا أَنه إذا كان الفعلُ مما لا يُشَكُّ فيه ولا يُنْكَر بحالٍ، لم يَكَدْ يجيءُ على هذا الوجه (أي على وجه تقديم ذكر المحدث عنه)، ولكنْ يُؤتى به غيرَ مبنيٍّ على اسمٍ، فإذا أَخبرْتَ بالخروج مثلًا عن رَجلٍ من عادته أَنْ يَخْرج في كلَّ غداةٍ قلتَ: "قد خرجَ"، ولم تَحتَجْ إلى أن تقولَ: "هو قد خرَجَ"، ذاك لأنه ليسَ بشيءٍ يَشُكُّ فيه السامعُ، فتحتاجُ أن تُحقِّقه، وإلى أن تُقدِّم فيه ذكْرَ المحدَّثِ عنه" (١).

والثاني: قوله:

---

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ). تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر. ط: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة. الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م. ص ١٣٥.

نالَت قَليلًا وَخاضَت ثُمَّ أَفزَعَها ... مُرَمَّلٌ مِن دِماءِ الوَحشِ مَعلولُ

فيه استعارة تبعية في اسم المفعول **(معلول)** حيث شبه نيل سهم الصائد من دماء فرائسه بالعلل وهو الارتواء من الماء، والشرب مرة بعد أخرى، وفيها تأكيد على أنه سهم صائب، وأن صاحبه صياد ماهر، وما وراء ذلك من تصوير شدة الخطر الذي أحاط بأتن حمار الوحش.

ومما سبق يتضح لنا أن الاستعارة لم يكن لها كبير حظٍّ عند الشاعرين، حيث لم ترد إلا في أربعة مواضع من أبيات كعب، وموضعين من أبيات الأخطل، وكان لها حيث جاءت دورها المؤثِّر في التأكيد على المعاني المُرادة بإبراز المستعار له في صورة من بلغ منها أقصى غاية، ولم يخرج عن هذا إلا استعارة كعب المذكورة في قوله: **(قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ)**، فإن المتأمل فيها يرى أنها استعارة في غير محِلِّها لسببين:

الأول: أن المُسْتحْسَن – عند العرب – في الناقة ضمورها وهزالها لا سمنها وامتلائها؛ إذ إن ضمورها يورثها خفة الحركة، وسرعة الخطو، وأما امتلاؤها فيُثقلها، ويعوق حركتها، ويحدُّ من سرعتها.

والثاني: أنه يتناقض مع وصفها بتجافي إبطيها عن ضلوع صدرها المذكور قبله في قوله: "**مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ**" ، كما أنه يتناقض مع وصف قوائمها بالذبول في قوله: "**تَهوِي عَلَى يَسَرَاتٍ .. ذَوَابِلٍ**".

ومن هنا يمكننا القول بأن كعبًا لم يحالفه التوفيق في تلك الاستعارة؛ لخروجه فيها عما تعارف عليه العرب في إبلهم من ناحية، ولتنافي ما ذكره فيها وتناقضه مع ما ذكره قبلها من ناحية أخرى.

ثالثًا: الكناية

وردت الكناية عن صفة في عشرة مواضع من أبيات **كعب** في وصف الناقة، ولم ترد الكناية عن موصوف إلا في موضعين منها.

وأول الكنايات عن صفة عنده قوله: " **فِي دَفِّهَا سَعَةٌ** " ، ومعناه: أنها "واسعة الجنبين، هو كناية عن عظم الخلقة"(١), قوله: " **قُدَّامُهَا مِيلُ** "، وهو" كناية عن طول عنقها أو سعة خطوها" (٢).

وجاءت الكناية عن بلوغها الغاية في نعومة الجلد وملاسته في موضعين:

الأول: قوله:

وَجِلْدُهَا مِنْ أُطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ ... طِلْحٌ بِضَاحِيَةِ الْمَتْنَيْنِ مَهْزُولُ

والثاني: قوله:

يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ ... مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ

وأما قوله: " **أَخُوهَا أَبُوهَا .. وَعَمُّهَا خَالُهَا**" فهو كناية عن تأصُّلها في الكرم "يعني أن أخاها مثل أبيها، وعمّها مثل خالها في الكرم، وإن حُمل الكلام على ظاهره فمثاله: أنه حمل جمل على ابنته، فأتت بجملين، فحمل أحدهما على أمه، فأتت بناقة، فصار أحدهما أخا هذه الناقة وأباها، وصار الأخر عمّها وخالها؛ لأنه أخو أمها وأخو أبيها"(٣) .

وقوله: " **قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ**" كناية عن سمنها وامتلائها باللحم من كل جانب من جوانبها. وقوله: "... **فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوَّنْهُ الْأَحَالِيلُ**" كناية عن قوتها، وقدرتها الفائقة على الاشتداد في السير؛ لأنه يلزم من كونها لا تُحلَب أن تكون أقوى على السير.

---

(١) السيرة لابن هشام ٥٠٧/٢.

(٢) السابق نفسه.

(٣) شرح ابن حجة ص٤٢.

وقوله: " **وَقْعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ**" كناية عن خفة قوائم ناقته، وسرعة رفعها عن الأرض. وقوله: " **يَتْرُكْنَ الْحَصَى زِيَمًا**" كناية عن شدة ومتانة قوائمها، حيث ذكر الدليل على ذلك، وهو أنها من شدة وطئهن الأرض يفرقن الحصى، ومثلها الكناية في قوله: "**لَمْ يَقِهِنَّ رُءُوسَ الْأُكْمِ تَنْعِيلُ**" ففيه دليل على شدتها وصلابتها من وجه آخر، وهي أنها لا تحتاج إلى تنعُّل يقيها شوك النباتات.

وقوله: "**شمطاءَ**" كناية عن عدم رجاء الولد. وقوله: "**رِخْوَةِ الضَّبْعَيْنِ**" ، ومعناه: مسترخية العضدين، وهو كناية عن سرعة حركة يديها في اللطم على وجهها؛ لأنهما مرسلتان غير مكبّلتين.

وجاءت الكناية عن موصوف عند كعب في قوله: "**مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ**" ، فـ (بَنَاتِ الزَّوْرِ) فيه كناية عن ضلوعه، وقد أبانت تلك الكناية عن شدة اللصوق، وقوة الملازمة بذكر الدليل على ذلك. وقوله:

تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ ... فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوَّنْهُ الْأَحَالِيلُ

كنى بـ **(ذَا خُصَلٍ)** عن ذيلها؛ للدلالة على وفور شعر الذيل وكثرته، وهذا من صفات العتق والنجابة.

وأما **الأخطل** فلم تكثر عنده الكناية عن صفة كثرتها عند كعب، فقد وردت في أربعة مواضع فقط، ووردت عنده الكناية عن موصوف في ثلاثة.

وأول الكنايات عن صفة عنده قوله:" **تسمو**" كناية عن شدة سرعتها بذكر الدليل على ذلك؛ إذ إن ارتفاع جسدها وعلوه أثناء عدوها دليل على اشتدادها في السير، وبلوغها الغاية في السرعة.

وثانيها: قوله: "**وَلَيسَ ماءٌ بِشُربِ البَحرِ مَعدولُ**" كناية عن فضل ماء البحر وتميُّزه عن غيره؛ لتجدُّده وصفائه وعذوبته.

وثالثها: قوله: " **وَقعُ قَوائِمِهِ في الأَرضِ تَحليلُ** " كناية عن خفة قوائم حمار الوحش، وسرعة رفعه إياها من الأرض.

ورابعها: قوله: " **وَأَعيُنُها مِن حَيثُ تَخشى** " كناية عن شدة خوفها سهام الصائد أن تصيبها.

وكناية كعب عن موصوف تنحصر في كنايته عن حمار الوحش في ثلاثة مواضع هي قوله: " **واضِحُ الأَقرابِ**" ، وقوله: "**ذو زَجَلٍ**"، وقوله: "**بادي الكَراديسِ خاظي اللَحمِ زُغلولُ**"

والكناية عنه بالوصف " **واضِحُ الأَقرابِ**" تؤكد أن المقصود نوع خاص من حمر الوحش، وهو ذو الخواصر البيض، المعروف بالقوة والضخامة.

والكناية عنه في "**ذو زَجَلٍ**" تؤكد شدة عدوه، وفرط سرعته؛ لأن البعير – كما تقدّم – إذا اشتدّ سيره سُمع له صوت، كما أنها توحي بمزيد من الإسراع في أُتنه؛ إذ ما زال يحُثّها على الجري بالفعل – وهو سوقه إياها الذي دلّ عليه المسند **(يحدوهن)** – وبالقول – وهو ما انبعث منه من صوت وجلبة دل عليه المسند إليه **(ذو زجل)** – كما كان في إسراعه أقوى باعث لها على الجري، وكلها دلالات انبثقت من الكناية المذكورة دلّ عليها المقام وعضّدتها القرائن.

وهكذا فاق كعب الأخطل في عدد الكنايات، حيث بلغ عدد كنايات كعب اثني عشر، بينما لم تزد كنايات الأخطل عن سبع. وقد جاءت كنايات الشاعرين مؤدية الغرض المرجوَّ منها، وهو إيصال المعنى المراد مصحوبًا بالدليل والبرهان، مما يزيده تأكيدًا وتثبيتًا في الذهن؛ لأن ذكر الشيء مع دليله أوقع وآكد في النفس.

وهذا ما نراه واضحًا جليًّا في جُلِّ كنايات كعب، كقوله: " **فِي دَفِّهَا سَعَةٌ** ", وقوله: " **قُدَّامُهَا مِيلُ** "، وقوله: "**وَجِلْدُهَا مِنْ أُطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ ...** " ، وقوله: **يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ ...**" ، وقوله:" **يَتْرُكْنَ الْحَصَى زِيَمًا**" ، وقوله: "**لَمْ يَقِهِنَّ رُءُوسَ الْأُكْمِ تَنْعِيلُ**" ، ومما هو نحوه عند الأخطل قوله:" **تسمو**".

كذلك كان للكناية أثرها البالغ في إبراز المعنى المجرّد في صورة ملموسة، تُقَرِّبه من أذهان السامعين، كما في تصوير الأخطل ما ألمّ بأتُن حمار الوحش من خوف سهام الصائد، وتجسيده ذلك المعنى في صورة محسوسة عن طريق الكناية البديعة المذكورة في قوله: " **وَأَعيُنُها مِن حَيثُ**

تَخشى" ، ولا يتناقض استحسان هذه الكناية مع ما ذُكِر قبل من عدم ملائمة هذه الجملة لما ذكر قبلها من معانٍ؛ لأننا حين نستحسنها هنا نستحسن تصويرها لمعنى الخوف الشديد الذي حلَّ بها، وإخراجها لهذا المعنى العقليّ في صورة حسِّيَّة موجزة بغض النظر عن ملائمتها للمعاني المذكورة قبلها أو عدم ملائمتها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ثّمَّ معنى مشتركًا اتفق الشاعران على الكناية عنه، وهو: خفّة قوائم الناقة، حيث وصف الاثنان وقع قوائمها على الأرض بالتحليل، فقال كعب: "**وَقْعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ**" ، وقال الأخطل: "**وَقعُ قَوائِمِهِ في الأَرضِ تَحليلُ**" ، وقد سبقت الموازنة بين الشاعرين في هذا المعنى عند الحديث عن الجملة المُقيِّدة، وتقدم القول بأن كعبًا فاق الأخطل في التعبير عن هذا المعنى؛ لأنه راعي دقيقة في المعنى لم يراعها الأخطل، وذلك أنه نصب لفظ الأرض على نزع الخافض؛ ليكون أوفى وأقوى في الدلالة على خفتها وسرعة رفعها قوائمها عن الأرض، وأما الأخطل فقيّد الوقع بـ (في) الظرفية، وهو تقييد لا يتناسب مع هذه السرعة في الرفع المعبّر عنها بالتحليل؛ لأنه يجعل من الأرض وعاءً لتلك اليسرات تحلُّ فيه وقتًا.

كذلك تقدّم القول بأن كناية الأخطل عن حمار الوحش في قوله: "**بادي الكَراديسِ خاظي اللَحمِ**" " فيها شيء من التناقض الحاصل بين الوصفين يمنع اجتماعهما في الذكر، ومثل هذا التناقض خلت منه كنايات كعب تمامًا فترجّحت كِفَّته فيها.

تتمة:

يلاحظ المتأمل في مفردات الشاعرين وتراكيبهما – ولا سيما المصوّرة منها – تأثُّر كل منهما بعوامل البيئة وظواهر الطبيعة من حوله تأثُّرًا بالغًا، بدت معالمه بوضوح في تصوير كل منهما أهم ملامح تلك البيئة الصحراوية القاحلة التي عاش فيها، فنجد كعبًا يستعين ببعض معطيات الطبيعة، ومفرداتها من حوله، من نحو: **(طَامِسُ الْأَعْلَامِ ،الْغُيُوبَ، الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ، بِرْطِيلُ، عَسِيبِ النَّخْلِ، الْحَصَى، بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ)** ، ولا يتأخر عن ذلك الأخطل فنرى مفرداته مُسْتقاة من وحي بيئته، يظهر ذلك في ألفاظه: **(ناسِفِ المَروِ، الأَناصيلُ، مَراتِعُهُ، ذو الأَشاءِ، بَطنَ الغَيلِ، بَحرَ عانَةَ، البَراغيلُ، الأَهواءِ، رُضاضِ المَروِ، أَعطالِ القَسِيِّ، مَنْهَلًا، شَرَائِعُه، الرامِيَ، الغيلُ، مُرَمَّلٌ، دِماءِ الوَحشِ، وَهَجَ الجَوزاءِ، أَعاصيرُ)** .

كذلك نجد كلًّا منهما يصوّر قسوة المناخ، ووعورة الأرض، فكعب يقول:" **عُرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ، إِذَا تَوَقَّدَتْ الْحِزَّانُ وَالْمِيلُ، يَتْرُكْنَ الْحَصَى زِيَمًا، يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحِرْبَاءُ مُصْطَخِدًا، كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ مَمْلُولُ وَقَالَ لِلْقَوْمِ حاديهم قِيلُوا، وَقد جعلت وُرْقُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَا، وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ)** .

والأخطل يقول: " **كَأَنَّ شَرارًا بَينَ أَذرُعِها مِن ناسِفِ المَروِ، وَعَزَّتهُ الأَناصيلُ، كَأَنَّ ما مَسَّ مِنهُ الشَمسُ مَملولُ، فَهاجَهُنَّ عَلى الأَهواءِ، سُنبُكُهُ مِن رُضاضِ المَروِ مَفلولُ، مُستَقبِلٌ وَهَجَ الجَوزاءِ يَهجِمُها سَحَّ الشَآبيبِ**" .

وأيضًا يظهر تأثُّر كل منهما بالبيئة الصحراوية واضحًا جليًّا في الاستعانة بحيواناتها ودوابها وطيورها في وصف ناقته، فنجد كعبًا يذكر: **(مُفْرِدٍ لَهَقٍ، طِلْحٌ مَهْزُولُ، الْقُرَادُ، الْحِرْبَاءُ، وُرْقُ الْجَنَادِبِ)**، وكذلك الحال عند الأخطل الذي ذكر في أبياته: **(واضِحُ الأَقرابِ، لِقَحٍ، الجِحْشَانُ، والحُولُ، الوَحشِ، كَالطَيرِ)**.

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للبريات محمد ابن عبد الله، وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأتمّ التسليمات.

وبعـــد ،،،

فإن دراسة وصف الناقة عند كلٍّ من كعب بن زهير، والأخطل دراسة بلاغية موازنة لتثمر لنا عن بعض النتائج التي أهمها:

أولًا: كثرة نعوت كعب المفردة وتكرارها وقلة نعوت الأخطل واقتصارها، واختلاف الأوزان الصرفية المختارة عند الشاعرين. والسبب في ذلك تباين الموقف الذي وصف فيه كل منهما ناقته، واختلاف المهمة المنوطة بها ناقة كلٍّ، وقد اختار كل منهما مفرداته بدقة، فجاءت معبّرة عن الشعور الداخلي، ومجسِّمة للفكرة، ومصوّرة لخيال الشاعر، فضلًا عن انسجامها مع طبيعة المقام الذي سيقت فيه، وملائمتها تجربته. كما وافقت – في أغلبها – المشهور عن العرب فيما يُستحسن في الإبل.

ثانيًا: اتفق الشاعران في بعض المعاني التي حملتها جُملهما، واختلفا في أكثرها، وقد فاق كعبٌ الأخطلَ في صياغة جُلّ المعاني التي اتفقا فيها، كما لم يراع الأخطل دقائق المعنى في صياغة بعض الجمل، وقع التناقض بين بعض جُمَله، كل هذا الذي يجعلنا نحكم لكعب بالتفوّق والإجادة.

ثالثًا: اتسمت الصور الفنية عند الشاعرين بعمق الإيحاء والدلالة، وتقريب المعنى، وتأكيده، وكان الاستطراد خصيصة من خصائص التشبيه عندهما، سعى به كل منهما إلى المبالغة في تعميق المعنى، وتصوير ما انطوت عليه نفسه الشاعرة من مشاعر وأحاسيس.

رابعًا: ارتبطت مفردات الشاعرين وتراكيبهما – ولا سيما المصوّرة منها – ارتباطًا وثيقًا بعوامل البيئة وظواهر الطبيعة من حولهما، فجاءت ناطقة بملامح تلك البيئة الصحراوية القاحلة التي عاش فيها كلٌّ منهما، مصوِّرة لها

أيّما تصوير.

خامسًا: مطابقة أوصاف كلٍّ منهما ونعوته لطبيعة المقام ومقتضى الحال الذي وصف فيه ناقته، مما يدل على صدق تجربة الشاعر، وعمق انفعاله بها، وما وراء ذلك من أثر على المتلقي الذي يزداد إيمانه بها، ويتعمّق إحساسه بتفاصيلها.

ثبت المصادر والمراجع

- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود. ط: دار الكتب العلمية. الأولى ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
- الأصمعيات للأصمعي (ت٢١٦هـ) . نحقيق: احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون. ط: دار المعارف – مصر .السابعة ١٩٩٣م.
- الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) . تحقيق: سمير جابر. ط: دار الفكر. بيروت. الثانية.
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف ابن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل. ط: دار الفكر. بيروت. ١٤٢٠هـ.
- بهجة المحافل وبغية الأماثل في المعجزات والسير والشمائل ليحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي (ت ٨٩٣هـ). ط: دار صادر – بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) . تحقيق: مجموعة من المحققين. ط: دار الهداية.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: عمر عبد السلام التدمري. ط: دار الكتاب العربي. بيروت. الثانية،

١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م .

- تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (ت ٣٧٠هـ) . تحقيق: محمد عوض مرعب. ط: دار إحياء التراث العربي. بيروت الأولى ٢٠٠١م
- ثلاثية البردة ثلاثية البردة بردة الرسول ﷺ لحسن حسين (معاصر) . ط: دار الكتب القطرية . الدوحة. الأولى ١٤٠٠هـ .
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) . تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط: دار الكتب المصرية. القاهرة . الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ). تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط: دار العلم للملايين – بيروت. الأولى ١٩٨٧م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ) . ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي . ط: المكتبة العصرية، بيروت.
- حياة الحيوان الكبرى لمحمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبي البقاء، كمال الدين الشافعي (ت ٨٠٨هـ). ط: دار الكتب العلمية. بيروت. الثانية ١٤٢٤هـ.
- الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) . ط: الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت. الثانية ١٤٢٤ هـ.
- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ). ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الرابعة.
- دروس التصريف. القسم الأول : في المقدمات وتصريف الأفعال .

تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: المكتبة العصرية. صيدا. بيروت. ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- دور الحيوان في التعبير عن التجربة الجاهلية. حمار الوحش نموذجًا. د/ سليمان الطعّان .بحث منشور بمجلة اللغة العربية بدمشق. العدد(٨٤) الجزء (٢) .
- ديوان ذي الرمّة. شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي. رواية الإمام أبي العباس ثعلب. حققه وقدّم له وعلّق عليه: د/ عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الإيمان. الأولى. ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري. حققه: لطفي الصقال، دريّة الخطيب. راجعه: د/ فخر الدين قباوة. ط: دار الكتاب الغربي بحلب. الأولى. ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.
- ديوان كعب بن زهير. صنعة الإمام أبي سعيد السُّكّري. شرح ودراسة: د/ فريد قميحة. ط: دار الشواف للطباعة والنشر. الرياض، دار المطبوعات الحديثة. جدة. الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ). تحقيق: عمر عبد السلام السلامي. ط: دار إحياء التراث العربي. بيروت. الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط: دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
- سير أعلام النبلاء لشمس الدين. تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط: مؤسسة الرسالة. الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

- السيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٣هـ). تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي. ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- شرح قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) في مدح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لابن حجة الحموي. تحقيق: د/ علي حسين البواب. ط: مكتبة المعارف. الرياض. ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- شعر الأخطل. أبي مالك غياث بن غوث التغلبي. صنعة السُكّري. روايته عن أبي جعفر محمد بن حبيب . تحقيق: د/ فخر الدين قباوة (اعتمد فيه على نسخة نقلت من خط المؤلف) . ط: دار الفكر. دمشق ١٩٩٦م.
- الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) . ط: دار الحديث. القاهرة ١٤٢٣هـ.
- شعراء النصرانية . جمعه ووقف على طبعة وتصحيحه: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت ١٣٤٦هـ) . الناشر: مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين. بيروت ١٨٩٠ م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط: دار العلم للملايين. بيروت. الرابعة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبي عبد الله (ت ٢٣٢هـ). تحقيق: محمود محمد شاكر. ط: دار المدني – جدة. ١/ ١٠٤ وما بعدها.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ). ط: المكتبة العنصرية . بيروت. الأولى١٤٢٣هـ.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: دار الجيل. الخامسة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. ٢/ ٢٩٦.
- القاموس المحيط لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ). تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الثامنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.
- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) . تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. ط: دار ومكتبة الهلال.
- كشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ). ط: دار الكتاب العربي. بيروت. الثالثة ١٤٠٧هـ .
- كلاسيكيات الشعر العربي. المعلقات العشر. دراسة في التشكيل والتأويل . د/ صلاح رزق.
- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ) . ط: دار صادر. بيروت. الثالثة . ١٤١٤هـ
- مجمل اللغة لابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت ٣٩٥هـ). دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. ط: مؤسسة الرسالة – بيروت. الثانية – ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط: دار الكتب العلمية – بيروت. الأولى١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ) . تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع. ط: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر. دمشق. سوريا. الأولى١٤٠٢هـ/ ١٩٨٤م.
- المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق: خليل إبراهم جفال. ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس (ت نحو ٧٧٠هـ) . ط: المكتبة العلمية – بيروت.
- معجم الصحابة لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (ت ٣٥١هـ) تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي. ط: مكتبة الغرباء الأثرية. المدينة المنورة. الأولى١٤١٨هـ.
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: دار الفكر.١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.
- معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) . تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط: دار الوطن للنشر. الرياض. الأولى ١٤١٩هـ /١٩٩٨م.
- المفصل في صنعة الإعراب لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ). تحقيق: د. علي بو ملحم. ط: مكتبة الهلال – بيروت. الأولى١٩٩٣م.
- المفضليات للمفضل الضبي (ت نحو ١٦٨هـ) . تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون. ط: دار المعارف. القاهرة. السادسة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤٨٦٣
التمهيد	٤٨٦٧
المحور الأول: الوصف بالكلمة.	٤٨٨٣
أولًا: الدلالة المعجمية.	٤٨٨٤
ثانيًا: دلالة الوزن الصرفي.	٤٨٩٣
ثالثًا: دلالة النعت.	٤٨٩٩
المحور الثاني: الوصف بالجملة	٤٩٠٥
أولًا: الجملة المؤَسِّسَة.	٤٩٠٦
ثانيًا: الجملة المقيِّدة.	٤٩١٦
المحور الثالث: الصورة الفنية	٤٩٣١
أولًا: التشبيه.	٤٩٣٢
ثانيًا: الاستعارة.	٤٩٤٢
ثالثًا: الكناية.	٤٩٤٥
تتمة	٤٩٤٩
الخاتمة	٤٩٥٠
ثبت المصادر والمراجع	٤٩٥٢
فهرس الموضوعات	٤٩٥٨